

قیس و لبنی



من صحف البادية

# قيس وليبي

تأليف

عزیز ابّاطة

الطبعة الرابعة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١٦٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

الإهداء



## أشخاص القصة

### الرجال :

شاعر بالمدينة ومن سراتها . عاشق لبني ثم زوجها .	قيس بن ذريح . . . . .
والد قيس . . . . .	ذريح . . . . .
والد لبني . . . . .	الحباب . . . . .
من كبراء المدينة المنورة . وهواه مع أهل البيت .	ابن حزم . . . . .
من فتيان بني كعب . وابن عم لبني ، ويحبها .	مالك . . . . .
من فتيان بني كعب . . . . .	طارق . . . . .
من فتيان بني كعب ، ويحب عزة . . . . .	مطيع . . . . .
صديق لقيس بن ذريح ، ورسول الحسين بن علي .	عبد الله بن أبي عتيق . . . . .
طبيب بالمدينة . . . . .	العراف . . . . .
فتيان من ليث بن بكر ، وابنا عم لقيس . . . . .	عامر . . . . .
	أشجع . . . . .
مجنون بني عامر . . . . .	قيس بن الملووح . . . . .
ابن عم المجنون ورفيقه . . . . .	زياد بن كعب بن مزاحم . . . . .
الزوج الثاني لبني . . . . .	كثير بن الصلت . . . . .
ابنا عم كثير بن الصلت . . . . .	ابن وهب . . . . .
	الحارث . . . . .

### النساء :

محبوبة قيس ثم زوجته . . . . .	لبني بنت الحباب . . . . .
. . . . .	أم قيس بن ذريح . . . . .
صديقة لبني ، ومن قرابتها . . . . .	عزة . . . . .
قرية لقيس بن ذريح . . . . .	عاتكة . . . . .

# مِرحية قيس ولبنى

مشاهيرها  
الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى  
أول مرة على مسرح الأوبرا ١٠٠١ يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، بالتوزيع الآتى :

أشوا من الرحمة المشلون ؛	زيداد .....	شفيق نور الدين
قيس بن ذريح أحمد سلام	الحارث .....	حسن إسماعيل
ذريح ...	ابن حزم .....	عبد العزيز الجاهلي
الحباب .....	الحارث .....	محمد نواز شهرزاد
مطيع ...	مختار عثمان	البيات والآفات
كثير بن الهيثم زكي رستم .....	لبنى .....	فردوس حسن
مالك .....	أم قيس .....	نجمة إبراهيم
ابن أبي عتيق عبد العزيز خليل	عزة .....	زوزو نبيل
قيس بن المبرج علي رشدي ...	عائكة .....	كرمية عبد العزيز
العرف ...	فؤاد نصير ..	
أشجع .....	عجى شاهين .....	حسن شلبي
عامر .....	عباس يونس	كارم محمود
ابن دلقب .	سعيد خليل	ارمون توماس
طارق .....	محمود إسماعيل	المنظمان .....
		علي هلالى

إفراج الأستاذ، فتوح نشاطي

## تعريف بالقصة

بقلم الإمام أبي الفرج الأصبهاني<sup>(١)</sup>

صاحب الأغاني

هو : قيس بن ذريح بن ليث بن بكر بن عبد مناة . وأمه بنت  
الذاهل بن عامر الخزاعي . وكان رضيع الحسين بن علي رضي الله عنهما .  
أرضعته أم قيس .

قال أبو الفرج : [ وقالوا جميعاً - يقصد رواة عددهم - ] كان منزل  
قومه في ظاهر المدينة ، أو في « سَرْف » . فمر قيس ، لبعض حاجته ،  
بخيّام بني كعب بن خزاعة ، فوقف على خيمة منها ، والحى خلوف ،  
والخيمة خيمة لبني بنت الحباب الكلبية . . فاستسقى ماء ، فسقته ،  
وخرجت إليه به . وكانت امرأة مديدة القامة ، شهلاء<sup>(٢)</sup> ، حلوة المنظر .  
والكلام . فلما رآها وقعت في نفسه ، فقالت له : « أتتزل فتبترد  
عندنا » . . قال : « نعم » . . فنزل بهم ، وجاء أبوها فنحر له  
وأكرمه . . فانصرف قيس ، وفي قلبه ، من لبني ، حر لا يطقاً . .

(١) هذه مقتبسات من كلام أبي الفرج وردت بنصها ولكن على غير هذا الترتيب .

(٢) الشَّهْلُ : نوع من الحسن في العينين .

فجعل ينطق بالشعر فيها ، حتى شاع ورؤى . . ثم أتاها يوماً آخر ، وقد اشتد وجده بها . . فسلم ، فظهرت له وتحفّت به . فشكا إليها ما يجد بها ، وشكت إليه مثل ذلك ، فأطالت . . وعرف كل واحد منهما ما له عند صاحبه . . فانصرف قيس إلى أبيه ، وأعلمه حاله ، وسأله أن يزوجه إياها . فأبى عليه ، وقال : « يا بني ، عليك بإحدى بنات عمك ، فهن أحق بك » . وكان ذريح كثير المال موسراً ، فأحب ألا يخرج إلى غريبة . . فانصرف قيس ، وقد ساءه ما خاطبه أبوه به ، فأتى إلى أمه فشكا ذلك إليها ، واستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها ما يحب . فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب ، وابن أبي عتيق ، فشكا إليهما ما به ، وما رد عليه أبوه . فقال له الحسين : « أنا أكفيك » . فمشى معه إلى أبي لبني ، فلما بصر به ، أعظمه ، وقال : « يا بن رسول الله ، ما جاء بك ، ألا (١) بعثت إلى فأتيتك » . قال : « إن الذي جئت فيه يوجب قصدك ، وقد جئتك خاطباً ابتكت لبني لقيس بن ذريح » فقال : « يا بن رسول الله ، ما كنا لننعصى لك أمراً ، وما بنا رغبة عن الفتى ، ولكن أحب الأمر علينا أن يخاطبها ذريح أبوه علينا ، وأن يكون ذلك عن أمره ، فإننا نخاف إن لم يسع أبوه في هذا أن يكون عاراً وسبة علينا » . . فأتى الحسين رضي الله عنه ذريحاً وقومه وهم مجتمعون ، فقال لذريح : « أقسمت عليك إلا خطبت لبني لابنك قيس » . قال : « السمع والطاعة لأمرك » . . فخرج

(١) ألا : التحضيض ، مثل هلا .

معه في وجوه من قومه ، حتى أتوا النبي ، فخطبها ذريح على ابنه إلى أبيها ،  
 فزوجه إياها ، وزفت إليه بعد ذلك .. فأقامت معه مدة لا ينكر أحد من  
 صاحبه شيئاً . وكان قيس أبرّ الناس بأمه ، فألته لبني وعكوفه عليها عن  
 بعض ذلك . فوجدت أمه في نفسها وقالت : « لقد شغلت هذه المرأة ابني  
 عن برّي » ولم تر للكلام في ذلك موضعاً . حتى مرض قيس مرضاً شديداً .  
 فلما برأ من علته ، قالت أمه لأبيه : « لقد خشيت أن نفجع في قيس ،  
 وما يترك خلفاً ، وقد حرم الولد من هذه المرأة ، وأنت ذومال ، فيصير  
 مالك إلى الكلالة (١) ، فزوجه بغيرها لعل الله يرزقه ولداً » . وألحت  
 عليه في ذلك ، فأمهله ذريح قيساً حتى إذا اجتمع قومه ، دعاه ، وقال :  
 « يا قيس ، إنك اعتلت هذه العلة وخفت عليك ولا ولد لك ، ولا لي  
 سواك ، وهذه المرأة ليست بولود ، فتزوج إحدى بنات عمك لعل  
 الله يهب لك ولداً تقرّ به عينك وأعيننا » . فقال قيس :  
 « لست متزوجاً غيرها أبداً » . فقال له أبوه : « فإن في مالي  
 سعة ، فتسرّ بالإماء ! » قال : « ولا أسوؤها بشيء والله أبداً » .  
 فقال أبوه : « فإنني أقسم عليك إلا طلقها » . فأبى وقال : « الموت  
 والله على أسهل من ذلك » قال أبوه : « لأرضي أو تطلقها » وحلف :  
 لا يكتنه سقف بيت أبداً ، حتى يطلق لبني . فكان يخرج فيقف في  
 حر الشمس ، ويحيى قيس فيقف إلى جنبه فيظله بردائه ويصلّي هو

(١) الذي يورث كلالة ، هو الذي يرثه غير بنيه وغير أبويه .

بحر الشمس حتى ينيء التيء فينصرف عنه ، ويدخل إلى لبني فيعانقها  
وتعانقه ، ويبكى ويبكى معه . فيقال إنه مكث كذلك سنة حتى طلقها .

قال أبو الفرج : قال الحسين بن علي رضي الله عنهما للذريح أبي  
قيس : أحل لك أن فرقت بين قيس ولبني ، أما إني سمعت  
عمر بن الخطاب يقول : ما أبالي أفرقت بين الرجل وامرأته أو مشيت إليهما  
بالسيف .

قالوا : فلما بان لبني بالطلاق ، لم يلبث قيس حتى استطير عقله وذهب  
به . ولحقه مثل الجنون ، وتذكر لبني وحالها معه ، فأسف وجعل يبكي  
وينشج أحرّ نشيج . وأرسلت لبني إلى أبيها ليحتملها . وقيل : بل أقامت  
حتى انقضت عدتها . وأقبل أبوها بهودج على ناقة وبابل تحمل أئانها .  
فلما رأى ذلك قيس أقبل ليلم بخباء لبني ويسألها عن رحيلها ، فنعته  
قومها ، فأقبلت عليه امرأة من قومه ، فقالت له : « ويحك تسأل كأنك  
جاهل ، أو تتجاهل ، هذه لبني ترتحل الليلة أو غداً » . فسقط مغشياً  
عليه لا يعقل .. قال أبو الفرج : قالوا : فلما ارتحل قومها ، اتبعها ملياً ،  
ثم علم أن أباها سيمنعه ، فوقف ينظر إليها ويبكى حتى غابوا ، ففكر راجعاً  
ونظر إلى خفّ بعيرها ، فأكب عليه يقبله . ورجع يقبل موضع مجلسها  
وأثر قدمها .

فلما جنّ الليل وانفرد وأوى إلى مضجعه لم يأخذه القرار وجعل

يتململ فيه تمللم السليم<sup>(١)</sup> . ثم وثب حتى أتى موضع خباثها ، فجعل يتمرغ فيه ويبكي ويقول :

بِثِّ وَالْهَمِّ يَا لِبَيْتِي ضَجِيعِي      وَجَرَّتْ مَدْنَايْتَ عَنِّي دَمْعِي  
وَتَنَفَسْتَ إِذْ ذَكَرْتُكَ حَتَّى      زَالَتْ الْيَوْمَ عَن فَوَادِي ضُلُوعِي  
يَا لِبَيْتِي فَدَتِكَ نَفْسِي وَأَهْلِي      هَلْ لِدَهْرِ مَضَى لَنَا مِنْ رَجُوعِ  
وَقَالُوا : وَجَعَلَ قَيْسٌ يِعَاتِبُ نَفْسَهُ فِي طَاعَتِهِ أَبَاهُ فِي طَلَاقِ لَبْنِي ،  
وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ : « فَأَلَا<sup>(٢)</sup> رَحِلْتُ بِهَا عَنِ بَلَدِهِ ، فَلَمْ أَرْ مَا يَفْعَلْ وَلَمْ يَرْنِي ،  
فَكَانَ إِذَا فَتَدَنِي أَقْلَعُ عَمَّا يَفْعَلُهُ ، وَإِذَا فَتَدْتَهُ لَمْ أُتَخَرِّجْ مِنْ فَعْلِهِ . وَمَا  
كَانَ عَلَيَّ ، لَوْ اعْتَرَلْتَهُ ، فَأَقَمْتُ فِي حَيْبِهَا أَوْ فِي بَعْضِ بَوَادِي الْعَرَبِ أَوْ  
عَصَبِيته . فَلَمْ أَطْعَمهُ . هَذِهِ جَنَائِي عَلَى نَفْسِي ، فَلَا لَوْمَ عَلَى أَحَدٍ » .  
وَكَلَّمَا قَرَّعَ نَفْسَهُ وَأَنْبَاهَا بِلَوْنٍ مِنَ التَّائِيْبِ بَكَى أَحْرَ بَكَاءً ، وَاللَّصِقَ  
خَدَهُ بِالْأَرْضِ .

وَقَالُوا : فَلَمَّا طَالَ عَلَى قَيْسٍ مَا بِهِ ، أَشَارَ قَوْمُهُ عَلَى أَبِيهِ أَنْ يَزُوجَهُ  
امْرَأَةً جَمِيلَةً فَلَعَلَّهُ يَسْلُو بِهَا عَنِ لَبْنِي ، فَدَعَاهُ إِلَى ذَلِكَ . فَأَنَّى . فَأَقْسَمَ  
عَلَيْهِ أَبُوهُ أَنْ يَسِيرَ وَيَتَنَقَّلَ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، فَلَعَلَّ عَيْنَهُ تَقَعَّ عَلَى امْرَأَةٍ  
تَعْجِبُهُ . فَفَعَلَ حَتَّى نَزَلَ بِحِيٍّ مِنْ فِرَازَةَ فَرَأَى جَارِيَةً حَسَنَاءَ قَدْ حَسِرَتْ  
بِرَقْعٍ خَزَتْ عَنْ وَجْهِهَا وَهِيَ كَالْبَدْرِ لَيْلَةً تَمَامَهُ ، فَقَالَ لَهَا : « مَا اسْمُكَ ؟ »  
قَالَتْ : « لَبْنِي » . فَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَارْتَاعَتْ لَمَّا عَرَاهُ ،  
وَقَالَتْ : « إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ ، فَإِنَّهُ لَمُجْنُونٌ ! » . ثُمَّ أَقْبَلَ

(١) السليم : الملدوخ . (٢) أي فهلا .

أخ لها ، فعرض عليه الصهر ، فقال له : « يا هذا ، إن فيك لرغبة ، ولكني في شغل . لا ينتفع بي معه » . فلم يزل يعاوده حتى أجابه . وشخص قيس إلى أبيه وساق إليهم المهر . ثم رجع إلى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته ، فلم يروه هشا إليها ، ولا دنا منها ، ولا خاطبها بحرف ، ولا نظر إليها . وأقام على ذلك أياماً كثيرة ، ثم خرج إلى قومه بالمدينة فأخبره صديق له من الأنصار أن نبأ زواجه بلغ لبني ، فغصتها ، وقالت : « إنه لغدار ، ولقد كنت أمتنع عن إجابة قومي إلى التزويج : فأنا الآن أجيبهم » . . . وقد كان أبوها شكاً قيساً إلى معاوية . وأعلمه تعرّضه لها بعد الطلاق ، فكتب إلى مروان بن الحكم ، أوسعيد بن العاص ، يهدر دمه إن تعرّض لها ، وأمر أباه أن يزوجه رجالاً من آل كثير بن الصلت الكندي حليف قريش .

وقالوا : إن قيساً اقتطع قطعة من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويمتار لأهله بثمنها ، فعرف أبوه أنه إنما يريد لبني ، فعاتبه ، وزجره عن ذلك ، فلم يقبل منه . وأخذ إبله فأتى بها المدينة ، فبيئنا هو يعرضها ، إذ ساومه زوج لبني بناقة منها ، وهما لا يتعارفان . فباعه إياها . فقال له : « إذا كان غد فأنتي في دار كثير بن الصلت ، فاقبض الثمن » . . قال : « نعم » . . ومضى زوج لبني إليها وقال لها : « إني ابتعت ناقة من رجل من أهل البادية ، وهو يأتينا غداً ، فأعدّي له طعاماً » . ففعلت . . فلما كان من الغد جاء قيس فصوّت بالخادم : « قولي

سيدك ، صاحب الناقة بالبواب . فعرفت لبي نغمته ، فلم تقل شيئاً . فقال زوجها للخادم : « قولي له : ادخل » . فدخل . . وكشفت لبي عن حجابها ، فهبت قيس ساعة لا يتكلم ، ثم انفجر باكياً ، ونهض فخرج . فدست له لبي بعد خروجه رسولا يسأله : « ليم تزوج بعدها ! » فحلف له قيس : أن عينيه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوجها ، وأنه لو رآها في نسوة ما عرفها ، وأنه ما مدّ إليها يده ، ولا كلمها ، ولا كشف لها عن ثوب .

وشهر أمر قيس بالمدينة بعد لقائه لبي ، وغنى في شعره : الغريض ، ومعد ، ومالك . فلم يبق شريف ولا ضيع إلا سمع بذلك فأطربه وحزن لقيس مما به . وجاء لبي زوجها ، فأنبها على ذلك . فغضبت وقالت : « لقد علمت أني كنت زوجته قبلك ، وأنه أكره على طلاق والله ما قبلت التزويج حتى أهدر دمه ، إن ألمّ بحيتنا » .

قالوا : وارتحل قيس إلى معاوية ، فدخل إلى يزيد ، فشكا ما به وامتدحه . ففرق له وقال : « سل ماشئت » . فقال : « أحب أن أقيم بحيث تقم في البلاد ، أتعرف أخبارها ، وأقع بذلك من غير أن يهدر دمي ! » . فأجابه إلى ذلك ، وأزال ما كان كتب به أبوه في إهدار دمه . قال أبو الفرج : قالوا : وقد اختلف في آخر أمر قيس ولبي ، فذكر أكثر الرواة أنهما ماتا على افتراقهما . وذكر آخرون : أن عبد الله ابن أبي عتيق سار إلى الحسن والحسين ، ابني علي ، وعبد الله بن جعفر

رضى الله عنهم ، وجماعة من قريش ، فقال لهم : « إن لي حاجة إلى رجل أخشى أن يردني فيها ، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه » .. قالوا : « ذلك مبتذل لك » . . فاجتمعوا في يوم وعدهم فيه . فضى بهم إلى زوج لبني . فلما رأهم أعظم مسيرهم إليه وأكبره فقالوا له : قد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق . . فقال : هي مقضية ، كائنة ما كانت . قال ابن أبي عتيق : قد قضيتها كائنة ما كانت من ملك أو مال أو أهل ؟ قال : نعم . . قال : تهب لهم ، ولي لبني زوجتك ، وتطلقها ! .. ففعل .. فاستحيا القوم واعتذروا ، وبقيت لبني عنده حتى انقضت عدتها . . ثم سأل هؤلاء القوم أباهما فزوجها قيساً . . فلم تزل عنده حتى ماتا . . .

## مقدمة

للكتاب العبقري والشاعر الكبير

عباس محمود العقاد

حبب إلى تقديم هذه الرواية النفيسة أنها جلت في الأدب العربي الحديث حقيقتين لا تزالان أبدأ في حاجة إلى جلاء ، وأنها قد جلت هاتين الحقيقتين ببرهان الواقع الذي لانعمل فيه ، أو كما يقول المتصوفة بالبرهان « اللدني » الذي لا محل فيه لتدبير من الإنسان .

أولى هاتين الحقيقتين أن الفضل يُعرف لصاحبه ولو لم يجهد جهده للتتويه به والدعوة إليه . وأن القدرة الصادقة لاتخفى على المنصفين وإن لم يشغلها السعي إلى الإنصاف ، فهي بالغة منه ما هي أهله بسطان الحق الذي لا يعلوه سلطان .

فالأستاذ عزيز أباظة مؤلف « قيس ولبنى » لوقضى عشرين سنة في السعي إلى المكانة الأدبية التي يعرفها له الأدب العربي الآن لما كان ذلك بالكثير على تلك المكانة ، لأنه باتفاق الجلمة من العارفين شاعر من شعراء الطبقة الأولى في اللسان العربي ، ومؤلف من مؤلفي القصص التمثيلية المعدودين في هذا الزمان .

وتلك منزلة رفيعة لا يكثر عليها أن تدرك في عشرين سنة ، أو فيما يربى على العشرين .

ولكن الأستاذ عزيزاً لم يعرف بهذه المنزلة في عشرين سنة ، ولا في عشر ، ولا فيما دون ذلك من سنين ، بل عرف بها في أسابيع قلائل بغير مكابرة من أحد ولا رغبة في المكابرة ممن يستطيعها ويهاها . لأنه عني بالجواهر الأصيل ولم يعن بالعرض المضاف : أو هو قد اهتم بالقدرة ولم يهتم بالتقدير ، فلما وافته القدرة طائعة تكفلت له وحدها بالتقدير الذي لم يتطلبه ولم يضع فيه وقته .

ولقد صحح في شاعرنا المهذب ماصح في لورد بيرون حيث كان يقول :  
« نهضت من فراشي ذات صباح فألفيتني مشهوراً » . . . فام يعرف الراصدون هذا الكوكب إلا وهو في برجه الأسنى قد جاوز جانبي الأفق وأصعد في سمت السماء .

ويخطئُ جداً من يحسب أن الرتبة الاجتماعية ، أو الرتبة الرسمية ، هي التي أتاحت للأستاذ عزيز هذه المكانة الأدبية ، فإن الناس أضن بسمعة الأدب من أن يرضخوا عنها لرتبة اجتماعية وإن كرمت ، أو لرتبة رسمية وإن عظمت ، وقد رأينا في جميع العصور وزراء ينسقون الشعر أو ينمقون النثر فلا يبلغون من الحظ في كليهما إلا أن يتندر الطرفاء بما نظموا ونثروا في سياق التفكه والمحاكاة ، ومن النقاد من أطلق القول حتى في شعر الملوك المولعين بالنظم كما قال أبو علي البصير :

سمعت بأشعار الملوك فكلها إذا عض مثنيه الشَّقَاف تأوِّداً  
فلم تكن الرتبة الاجتماعية قط سبيلاً إلى اختلاس قيمة فنية أو انتزاع  
إعجاب أدبي لا تدعمه قدرة صحيحة ، بل ربما كانت أحياناً من دواعي  
الاستغراب الذي يكبح عنان الإعجاب .

• • •

أما الحقيقة الثانية التي جلتها رواية « قيس ولبنى » فهي صلاح العربية  
الفصحى للمسرح الحديث ، واستطاعة النظارة من جميع الطبقات أن  
يفقهوا معناها ويُشربوا مزاجها وينتقلوا إلى جوها ويستجيبوا لعباراتها  
في مواقف الجدل أو الدعابة ، وفي معارض اللهو أو الأسي ، وعلى سنن  
الأخلاق والعادات التي باعدت بين عصرنا وعصرها ولاسيما في عهد هذه  
الرواية .

فقد حضرنا تمثيل « قيس ولبنى » ورأينا كثيراً من الفضلاء يخضرونه ،  
فرأينا الوشائج الوثقى بين النظارة وأبطالها على اتصال دائم لا ينقطع هنية  
صغيرة من أجل كلمة غريبة أو عبارة بليغة ، وسمعنا الضحك في  
مواقف الضحك من الشرفات العليا كما سمعناه من المقاصير الفاخرة ،  
وسمعنا النشيج في مواقف النشيج من هؤلاء كما سمعناه من هؤلاء ، ولم  
يكن كل النشيج من جوانب السيدات والأوانس ، ولا كان كله من  
جوانب المثاليين والخياليين الذين يؤمنون بالعاطفة على هوى العشاق  
العذريين ، بل بدرت الدموع إلى عيون فتيان العصر وفتياته ، وإنهم

لأول من يسخر بالوفاء « العذرى » القديم ، لولا غالب من سحر الأسلوب  
وسحر البيئة التي احتوتهم وأفلح الأسلوب في تحضيرهم لها أو تحضيرها  
لهم ، وهم يتعمدون مطاوعتها أو لا يتعمدون .

فأياً كانت الأسباب التي ينتحلها المتعللون للغة الفصحى على المسرح  
الحديث فليدعوا إذا سبباً واحداً لا شك في بطلانه ، وهو انقطاع الصلة  
بينها وبين النظارة من الخاصة المثقفين أو عامة المستمعين ، وآية ذلك  
« قيس ولبنى » غير مرء .

\* \* \*

في هاتين الحقيقتين وحدهما شفيح لكل رواية وكل كتاب ، لأنهما  
حقيقتان تفوقان مغزى كثير من الروايات والكتب التي تراد لتقريب  
بعض الحقائق والآراء .

لكنّ الرواية - بمعزل عن هذا كله - تحفة أدبية نادرة في الأدب  
العربي الحديث ، سواء من ناحية الأداء أو من ناحية التعبير والتمثيل .  
هي نموذج من نماذج الجزالة والعذوبة وصحة التركيب في الشعر  
العربي على اختلاف أغراضه وأوزانه . ويقل في أساليب العصور كافة من  
يستوى له هذا النسق في كتاب كامل كما استوى لعزير نسقه المتين  
في رواية « قيس ولبنى » من ألفها إلى يائها ، ومن أهازيجها الخفيفة إلى  
بحورها المديدة ، على اختلاف المعاني والأغراض .

ولست أعرض هنا للأداء التمثيلي من حيث عدد الفصول وترتيب

المناظر وتوزيع الأدوار ، فهذا مجال النقد المسرحى الذى يتولاه المخرجون ومن يعنون بشؤون الإخراج .

ولكننى أعنى بالأداء التمثيلى قدرة المؤلف على « إحياء » الخبر المكتوب فى أشخاص الممثلين ، بإيقاعه موقع العمل المحسوس الذى نعهده وننتزع به فى ساعة العيش صباح مساء .

فتطبيق قيس للبنى خبر منفّر ، يتلقاه السامع بالنفرة - بل الحيرة - إذا كان قصاره أن يعلم أن قيساً طلق لبناه مستجيباً لإغراء أمه وأبيه ، ولكنه يفهم ويحس العذر فيه إذا رأى قيساً مستهدفاً - بحيث أهدافه المؤلف - لطغيان البواعث النفسية التى تتجمع حوله وتتضارب فى سريرته ، وتمتحن صبره وحيه ، وتريك وأنت تشهد وتتعقبه أنه امتحان عسير ، وأنه لاغرابة بعده أن ينتهى بالطلاق .

وعتاب قيس وبنى يوم تلاقيا بعد الطلاق عتاب لا نقص فيه ولا زيادة ، وكذلك تهينة الزوج « كثير » لسماع المقترح الغريب وجواب لبنى عليه ، وكذلك كل خبر فى القصة يطلب من المؤلف أن يجيبه لنا ويرده أعمالاً وأقوالاً مشهودة مسموعة أمامنا ، قد أحياه وقد رده فأحسن وأجاد فى غير تقصير ولا إغراق .

ولست أرى غضاضة على مؤلفنا أن يتجنب المأساة فى ختام روايته إذا لم يكن من قصده هو أن يكتب مأساة وإن خالف التاريخ أو آثر القول الضعيف من أقواله ، فليس حتماً لزاماً على كل مؤلف أن يحتم

مواقفه بمأساة ، وليس حتماً لزاماً على كل مؤلف أن يتجنب الختام السعيد إذا تمهد سبيل هذا الختام . إنما الحتم اللزام على المؤلفين جميعاً أن يختاروا الموقف ويصدقوا في عرضه والتعبير عنه ويجمعوا إلى بلاغة الصدق جمال الأداء ، وتلك غاية نهى المؤلف الفاضل ببلوغها ونستريده منها ، ونحسبه مديناً للأدب العربي بإنجازها على مقدار ما عنده من ضمان هذا الدين الشريف ، ولا ضمان هنا ألزم ولا أكرم من قدرة الإنجاز. . .

عباس محمود العقاد

## الفصل الأول

### المشهد الأول

[خيام بني كعب بضواحي المدينة المنورة . فناء رجب]  
[أمام الخيام . في موضع منه لبني وعزة تصادتان]

لبنى : يا عَزُّ ما أنبأء يشربَ ؟ حدِّثني  
عنها وقولي ما عَرَفْتِ أو اكْذِبي  
لم نَدْرِ ما صنع الزمانُ بيشرِبِ  
يا عَزُّ

مزة [ضاحكة] : بل قولي بساكنِ يشربِ  
لبنى : ما كانَ أهوننَّا عليه ففي مدى  
شهرينِ لم يُلِمِّم ولم يتَأَوَّبِ <sup>(١)</sup>  
قد طال منه تباعدٌ وتجنبٌ  
أفديهِ من مُتباعِدٍ مُتجنبِ

(١) الإلام : الزيارة غيباً ، والتأوب : الزيارة في الليل خاصة .

عزة : لُبْنَى عَرَفَتْ غِرَامَهُ وَوَفَاءَهُ

وَعَلِمَتْ أَيُّ مَنَى يَرُومُ وَمَطْلَبُ؟

أَهْلُوكُمْ مَا ظَلَمْتُمْ وَلَمْ يَتَوَرَّعُوا

بَعْدَ لَهُمْ مِنْ حَاضِرِينَ وَغَيْبٍ

أَبَوَاهُ قَدْ أَبَا عَلَيْهِ رِجَاءَهُ<sup>(١)</sup>

وَأَبُوكَ لِقَاءَهُ بِوَجْهِ مُجْدِبٍ

بَنِي : يَا عَزُّ فَلْنَسْأَلْ لِقَوْمَيْنَا الْهَدَى

وَاحِيرَتَاهُ مِنْ أَبِيهِ وَمَنْ أَبِي

أَصْبَحْتُ أَبْرَمُ بِالْحَيَاةِ فَمَا أَرَى

غَيْرَ الْمَكَارِهِ وَالْجُدُودِ<sup>(٢)</sup> الْخَيْبِ

عزة : مَا ضَرُّ قَيْسًا وَالْحَيَاةُ شَفَاعَةٌ

لَوْ قَدْ تَشَفَّعَ بِالْحُسَيْنِ ابْنِ النَّبِيِّ

إِنَّ الْحُسَيْنَ رَضِيعُ نَدْيِي أُمَّهُ

مَا إِنَّ يُرَى لِرَجَائِهِ بِمُخَيَّبِ

---

(١) الرجاء : الأمل . (٢) الجدود : الحظوظ .

قد كان هذا رأى قيسٍ ليته  
 لم ينأ عن تدبيره أو يعزب<sup>(١)</sup>  
 لي : يا عزُّ قد كان يُجدى ما ذهب له  
 لو لم تكذُّ كُبرُ الأحداثِ تندلعُ  
 تدرين أن أميرَ المؤمنين<sup>(٢)</sup> مضى  
 يدعوا إلى بيعةٍ جُلِّيٍّ ويجمعُ  
 أهابَ بالناسِ في الأمصارِ فانبعثت  
 ولأتها يدفعونَ الناسَ فاندفعوا  
 فما يزيدُ<sup>(٣)</sup> بكفٍ للذي عقلوا  
 له ، وما هو أهلٌ للذي شرعوا  
 إن الخلائفَ لم يستخلفوا ولداً  
 منهم فما لبى حربٍ قد ابتدعوا ؟  
 مني تمنيتها يا عزُّ ضائعةً  
 إنَّ الحسينَ لمعني بما يقعُ

(١) عزب : غاب .

(٢) يزيد بن معاوية .

(٣) معاوية بن أبي سفيان .

كيف السبيلُ إليه وهو مُحْتَفَلٌ  
بذلك الحدثِ المشهودِ مُضْطَلِعٌ

عزة : لُبْنَى رَأَيْتُ ابْنَ حَزْمٍ فِي ضِيَاغِكُمْ  
هَلَّا سَأَلْنَا عَنِ الْأَحْبَابِ مَا صَنَعُوا

لبني : دَعَى ابْنَ حَزْمٍ وَغَايَاتٍ يَنْصُرُ لَهَا  
كُبْرَى الْجُهْدِ وَأَهْدَافاً يُسَاوِرُهَا

إِنَّ ابْنَ حَزْمٍ بِأَمْرِ الْعَهْدِ مُشْتَغَلٌ  
فِي عُصْبَةٍ تَزْحَمُ الدُّنْيَا مَآثِرُهَا  
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ عَزَّ قَاصِدُهَا

على الزمان ومولاها وناصرها  
فِيهَا عِبَادِلَةٌ (١) الْإِسْلَامِ مَا فَتَيْتَتْ

يُطَاعُ فِي النَّاسِ نَاهِيهَا وَأَمْرُهَا  
جَلَّتْ فَمَا تَافَسَتْ أَمْضَى يَوَاتِرُهَا

بِالْيَسَدِ فِي شَرَفٍ إِلَّا مَنَابِرُهَا

---

(١) م . عبد الله بن الزبير ، عبد الله بن عمر ، عبد الله بن عباس ، عبد الله بن عمرو بن العاص .

هذا أبي وابن حزم يُقبلان معاً  
تغشاهما حدة تبدو بوادرها  
في فتية من بني الأعمام يقدّمهم  
خطيب كعب وراويها وشاعرهما

## المشهد الثاني

[ يدخل الحباب وابن حزم وهما يتحدثان في جد وتحفظ ... ]  
[ ويدخل وراهما مالك ومطيع وطارق ]

ابن حزم : سلامٌ دُرَّتْ كعبٍ وَمَجَلِي فخرِها الأسنَى  
[لعزة ولبنى] ومن أفضلُ من عزٍّ؟ ومن أكرمُ من لبني؟  
عزة : ظلمتَ إذا بنى كعبٍ أبا للنسوة تعترُّ؟  
[ضاحكة] وفي فتياننا عتقٌ<sup>(١)</sup> وملءُ دمائهم عزُّ  
لبني : لهم أيدٌ<sup>(٢)</sup> على الناسِ إذا ما غولبوا عزوا<sup>(٣)</sup>  
إذا هزوا القنا أرسوا وإن سيلوا الندى اهتزوا  
الحباب [ضاحكاً]: ألا رفقا بعمكما فقبيا قلتما غمز

(١) العتق : الشرف .  
(٢) الأيد : القوة والفضل .  
(٣) عزوا : أي غلبوا .

ابن حزم : معاذَ اللهُ ما الغمُزُ على بالٍ ولا الوخزُ  
ولكن قاله الحق . . . وفي كتمانها عجزٌ<sup>(١)</sup>  
لقد أنصنتِ يا بُنَيَّ وما بالغتِ يا عَزُ  
[ ينفرد الحجاب بابن حزم في فاحية من المسرح ]

الحجاب : عَجَبٌ ما سمعتُ منك فما كذ  
تُ أظن الأنبياءَ جدَّ خطيرِهِ  
أن أمراً دهى مُعاوىَ حتى  
عاد عُطلاً من الحِجَا والبصيرةِ  
أى عهدٍ يُريدُ أن يُرغمَ النا  
سَ عليه وبيَّعةٍ منكورةِ  
أهراقيةِ يريدُ بنُ هنديِ  
عَلِمَ اللهُ إنها لكبيرةِ  
بدعة<sup>(٢)</sup> من بناتِ مروانَ والضَّ

ابن حزم : حاكِكِ بل يتبعانِ وَحَيَّ المغيِّرةِ<sup>(٣)</sup>

(١) الخطأ والتفسير والضعف . (٢) البدعة : الحدث في الدين .  
(٣) مروان بن الحكم والضحاك بن قيس والمغيرة بن شعبة .

مَلُّوا الشَّامَ وَالْعِرَاقَيْنِ وَالْكُوفَةَ  
فَقَدْ بَغِيًّا وَيَشْرِبَ الْمَبْرُورَةَ  
وَسَعَوْا فِي الْبِلَادِ بِالْدَعْوَةِ الْبِلَا

تَمَاءُ<sup>(١)</sup> طَوْرًا وَالْدَعْوَةَ الْمَسْتَوْرَةَ

إِنِّهَا فِتْنَةٌ سَنَنْتَظِمُ الْمَلَا  
لَكَ وَتَغْزُوا أَطْرَافَهُ وَتُغْوِرُهُ

الْحِيَابُ : إِنَّ لِي مَجْلِسًا هَلُمَّ إِلَيْهِ  
نَلْتَمَسُ فِيهِ وَحَدَّةَ يَابْنَ حَزْمٍ

قَدْ نَمَّ الْحَدِيثَ فِي ذَلِكَ الْأَمَّةِ

رِ وَقَدْ نَنْتَهَى لِرَأْيٍ وَحُكْمٍ  
[يَدْخُلَانِ إِحْدَى الْحِيَامِ]

### المشهد الثالث

[يجلس الباقرين جميعاً في مجلس أمام الخيام يتسامرون]

طبيع : أديري علينا شهياً السَّيْرُ وَقَوْلِي فَقَوْلِكَ رَاحُ السَّمْرِ  
فَدَيْتُكَ لِبْنِي فَهَلْ عَنْ هَوَى حَدِيثٌ وَهَلْ عَنْ مُحِبِّ خَيْرٍ

(١) الظاهرة الواضحة .

ابنِي : وما شأنكم بهوى العاشقين  
دعوم لنارِ نَقْدُ الحديدِ  
وَدَمَعٍ مِنَ الْأَكْبَدِ الْمُضْنِيَاتِ  
يَقُومُونَ يَوْمَهُمْ نَزْعًا  
رَأَيْتُ لَهُمْ فِي شَقَاوَاتِهِمْ

طارق [هاساً] : أَسْمَعُ مَالِكُ قَوْلَ الْفَتَاةِ

مَالِكُ : أَجَلٌ فَهُوَ تَرْجِيْعٌ وَجَدِ قَهْرٌ

طارق - : أَتَحْسِبُهَا جَدًّا مَشْغُوفَةً

مَالِكُ [مَهْكًا] : كَأَنَّكَ لَا تَسْتَسِيغُ الْخَبِيرُ

وَمَا يَفْضَحُ الْوَجْدَ مِثْلُ النَّظَرِ  
تَأْمَلُ تَرَّ الْوَجْدِ فِي عَيْنِهَا

فَمَا اعْتَرَّ إِلَّا بِذُلِّ الْأَسْرِ  
لَكَ اللَّهُ لَبْنِي أَسْرَتِ الْفَوَاذِ

وَهَمَّتْ بِغَيْرِي عَدَّتْكَ الْغَيْرُ  
وَقَفْتُ عَلَيْكَ غَرَامَ الشَّبَابِ

طارق [هاساً] : رُوِيَ ذَلِكَ مَالِكُ لَا تَبْتَثْسُ (٢)

مِزَّةٌ [مِدَاعِيَةً] : أَلَيْسَ لِهَمْسِكَمَا آخِرُ  
فِي الْهَمْسِ مَفْسُدَةٌ لِلْسَمْرِ

(١) كثيرة البكا . (٢) لا تحزن .

تُرى أَيُّ عِرْضٍ تَنَاوَلْتُمَا  
 أَلَا وَيُحْكَمُ مِنْ شَبَابِ غَوِيٍّ  
 وَأَيُّ الْغَوَايِ وَأَيُّ الْأُسْرِ  
 فَلَمْ يُبْقِ فِي غِيٍّ أَوْ يَذُرْ  
 تَأَذَّنَ فِي جَهْلِهِ عَابِثًا  
 وَمَعْنَى فِي لَهْوِهِ وَانْفِجْرُ  
 مَالِكٌ : أَرَاكَ يَا عَزُّ غَضْبِي  
 فَمَا سَمِعْتُ فَطِيعُ  
 طَارِقٌ [فِي غَيْثٍ] : مَا بِالْهَذَا تَتَحَدَّى  
 مَا خَطْبُهَا يَا مَطِيعُ  
 مَطِيعٌ : مَا خَطْبُهَا ؟ كُلُّ شَيْءٍ  
 لَعَزَّ حُلُوُّ بَدِيعُ  
 جِبُّ مَوَاتٍ وَحُسْبُ  
 طَاغٍ وَشَمْلُ جَمِيعُ  
 [يَتَضَاحَكُونَ . . .]

عِزَّةٌ : يَا لِلْكَذُوبِ الْمُدَاجِي  
 مِنْ عَهْدِ عَادٍ جَنِيْتُمْ  
 كَلُّ الرِّجَالِ كَذَلِكَ  
 عَلَى النِّسَاءِ الْمَهَالِكِ  
 الْقَوْلُ كَالصَّبْحِ ضَاحٍ  
 وَالْفِعْلُ كَاللَّيْلِ حَالِكٌ  
 لِنِي : يَا عَزُّ حَسْبُكَ قَالَا  
 هُمُ أَمْنُنَا وَجَمَانَا  
 لَنَا وَعِزًّا وَمَالَا  
 بِرَاهِمِ اللَّهِ عَوْنًا  
 طَارِقٌ : بَلْ زَانِكُنْ رِيَاضًا  
 لَقَدْ ظَلَمْتِ الرِّجَالَ  
 وَحِصْنُنَا أَنْ نُنَالَا  
 وَمَدَّكُنْ ظِلَالَا

وردُّكُنَّ نعيماً ورحمةً وجمالاً

مالك : أُبْنِي تَدَافِعُ عَنَّا فَدَيْتُ لُبْنِي بِنَفْسِي

هزة : لِمَ لَا تَدَافِعُ عَنكُمْ أَلَسْتُمْ وَجَنَسَ قَيْسِ

[يتضاحكون جميعاً عدا مالكا]

لبنى [في غضب] : ماذا تقولُ هذه الثرثارة

مالك [في حدة] : تَذَكَّرُ أَمْرًا قَدْ حَمَلْنَا عَارَةَ

تَذَكَّرُ أَمْرًا عَزَّنا أَنْ نَحْسِمَهُ

جَرَّ عَلَيْنَا الْقَالََةَ الْمُذْمَمَةَ

تَدَمَغْنَا صَرِيحَةً وَمُبْهَمَةً

وَنَحْنُ أَهْلُ الْبِئْسِ أَهْلِ الْمَكْرَمَةِ

إِنَّ لَنَا الْكُتَّابَ الْمَلَمَّامَةَ (١)

مَا شَرَعْتَ إِلَّا السُّيُوفَ الْمُعْلَمَةَ

نُجْدَلُّ الْبَاغِيَ أَوْ نَقُومُهُ

وَنَحْضُظُ الْجَارَ وَنَرَعِي حُرْمَةَ

(١) المجتمعة الكثيرة .

كنا فهنا كالفنا المَحْطَمَة

مما روى الجيل وما جمجمة<sup>(١)</sup>

عن مُغْرَمٍ يَغْزُو الحِمَى لمغْرَمَة

مالكُ أَحْسَنَتَ الذِّيَادَ<sup>(٢)</sup> عَنَّا

لبني :

سَمَوْتَ مَبْنَى وَأَجَدْتَ مَعْنَى

لَكِنَّكَ أَزْدَدْتَ عَلَيْنَا مِينَا<sup>(٣)</sup>

ضَمَقْتَ إِذْنَ بِشَعْرِ قَيْسٍ أَذْنَا

وَكَانَ أَوَّلُ أَنْ تَرَاهُ فَنَّا

جَدَّدَ فِي السَّحْرِ الحَلَالِ لُونَا

غَنَّتْ بِهِ اليَدُ فَكَانَ لِحْنَا

وَاحْتَفَلَ الدَّهْرُ بِهِ وَجُنَّا

ضَاقَ القَتَى ذِيلاً بِهِ وَرُدْنَا

عزة [في حبت] :

أَلَمْ يَقُولُوا عَنْهُ : قَيْسُ لُبْنَى ؟

مَا كُلُّ رَامٍ نَالَ مَا تَمَنَّى

(١) الجسمة : الحديث لا يكاد يفصح عنه اللسان .

(٢) الذيادة : الدفاع .

(٣) المين : الادعاء والكذب .

مالك [لعنة]: أَرْضِيَّتِ أَنْ نَسْبُوا لِلْبَنِي شَاعِرًا

نَزِقًا رَمَاهَا بِالشَّنِيعِ وَنَالَهَا  
مَا زَالَ يُلْقَى حَوْلَهَا بِنَسْبِهِ  
رَيْبًا تَلَمَّسَهَا وَمَدَّ ظِلَالَهَا  
لَوْ كَانَ يَصْدُقُ فِي هَوَاهُ كَمَا ادَّعَى  
لِرَعَى مَكَانَتَهَا وَصَانَ جَلَالَهَا

[ثم يخاطب لبيبا]: فِي آلِ عَمِّكَ كُلِّ كَفٍّ مَاجِدٍ

لَيْسَ الْفُتُوَّةُ سَاحِبًا أَذْيَالَهَا  
يَحْمُونَ أَعْرَاضَ الْعَشِيرَةِ بِالْقَنَا  
وَيُقَرِّبُونَ عَلَى النَّدَى أَمْوَالَهَا

لبي [في عطف]: أَعْرَبْتَ عَنْ أَمْرٍ أَظُنُّكَ جَاهِلًا

أَنْتَى أَحْطَتْ بِسِرِّهِ وَعَرَفْتَهُ  
طَالَعْتَهُ وَأَرَاكَ تَوَثَّرُ كَتْمَهُ  
وَلِحْتَهُ فِي نَاطِرِكَ وَشِمْتَهُ  
وَوَدِدْتُ لَوْ أَنْتَى أَجَبْتِكَ لِلَّذِي

تَرْجُو. وَلَكِنْ مَطْلَبٌ مَا اسْطَعْتَهُ

فاردد هواك إذن وحسبك أنى  
 أحسسته فقدرتة ورحمته  
 إن كنت مالك قد فقدتك صاحباً  
 فلقد حفظتك لى أتحاً فديته  
 طارق : لئبى أراك قطعتم الأمر ظالمة  
 إذا لقد صح ما قالوا وما زعموا  
 يابنت شيخ الحمى فضلاً ومكرمة  
 يابى الذى تفعلين الفضل والكرم  
 رددت أسمح فتیان الحمى خلقة  
 فتى يضىء عليه النبيل والشمم  
 رددته أملاً فى عابث ثلمت  
 فى شعرة العابث الأعراس والحرم  
 عزة : جاوزت طارق حد الفضل فى رجل  
 سمت به العزة القعساء والهمم  
 يعلو به الحسب الأسمى ويرفعه  
 شعر هو الراح للبيداء والنغم

مطبع : أراكُمو قد ذهبتم في جوارِكُمو  
 مذاهباً يتَّقِيها العاقلُ الفهِمُ  
 هذى الأحاديثُ لو في خلوةٍ طُرحتُ  
 لما بدتُ هكذا تَغلي وتضطرُمُ  
 عودوا إلى سمر فالليلُ مبتسمٌ  
 للسامرينَ ، وعند الصبحِ فاختصموا  
 [تسحب لبي وعزة إلى داخل الخيام]

مطبع : إني أرى عُصْبَةً تدنو  
 [متطلعا إلى الخارج]

طارق : أتعرفهم ؟

مطبع : أكادُ أعرِفهم ها قيسُ بينهمو  
 مالك : قيسُ لعمرى فما نبتى عليهما لثله عندنا عهدٌ ولا ذممٌ  
 [في غضب]

طارق : مَنْ ذلِكَ السابقُ الداني ؟

مطبع : أجهله ؟

( هذا صَفِيُّ ابنِ خيرِ الناسِ كلِّهمو )

صَفِيُّ من تعرفُ البطحاءَ وطائتهُ

والبيتُ يعرفُه والحلُّ والحرمُ )

[يرع مطبع فرحاً للقائه القادمين]

مالك : هذا عتيقٌ وقيسٌ في صحابتهِ  
 من أجلِ لُبني وأيمُ اللهِ قد قدموا  
 ليس الشفيعُ بمن تُكدي<sup>(١)</sup> شفاعتهُ  
 تكادُ تندكُ آمالي وتنهدمُ  
 [ينسحب كل من مالك وطارق إلى ما وراء الخيام]

### المشهد الرابع

[يظهر قيس بن ذريح وذريح وعبد الله بن أبي عتيق وأشجع وعامر ومطعم]

قيس : ياديَارَ الحبيبِ رَاوَحَكَ القَطُّ رُ وَاغَادَكَ ياديَارَ الحبيبِ  
 حَدَّثَنِي فكم سَكَبْتُ حَدِيثِي وَحَنِينِي فِي رَمَلِكِ المَهْضُوبِ<sup>(٢)</sup>  
 كَيْفَ أَنبَاوَهَا أَتَحْفَظُ وَدِي وَعَهْدِي أَمَّ قَلَّ مِنْهَا نَصِيبي  
 كُلُّ أَغْصَانِ سَرْحَةٍ<sup>(٣)</sup> فِي رَوَابِي لِكِ أَحْسَتْ بِلَاعْجِي وَنَحِيبي  
 وَرَأْتَنِي تَحْتَ الدُّجَى ضَارِعَ الخَدِّ غَرِيْقًا فِي مَدْمَعِي المَسْكُوبِ  
 أَتَنْزِي تَنْزِي الطَائِرِ المَجْرُوحِ فِي مِخْلَبِ المَهْضُوبِ الغُضُوبِ

(١) تكدي: تخفق . (٢) المهضوب : المطور .

(٣) السرحة : الشجرة العظيمة لا شوك فيها .

بتفسيرِجِ كَرْبَةِ المَكْرُوبِ  
 رَاهُ بِالْفَوْزِ وَالنَّجَاحِ القَرِيبِ  
 قَدْ بَلَّغْنَا بَعْدَ أَيْنُ  
 نَ لثِيمَ المَلُوءِ  
 بِرِيحِ وَالْبَثِّ مُضِينُ  
 أَثْرًا مِنْ بَعْدِ عَيْنِ  
 هُ فِي سَعِي الحَسِينِ  
 شَرَّفَتْ أَرْبَعًا وَعَزَّتْ سَمَاءُ  
 رُوْحَقَتْ بِابْنِ النَبِيِّ الرَّجَاءُ  
 هَلْ تَرَانِي أَجْزِيكَ إِلا وِفَاءُ  
 خَاطِبًا مُحْسِنًا لِتَرْبِ أَسَاءُ  
 سَ فَلَيمَ رُحْمَتِ تَتَّبِعُ الشُّعْرَاءُ  
 بَيْدَ وَلَكِنْ يَرُوعُ الآبَاءُ  
 رَوِي رُوى النَسِيبَ وَالْأَنْبَاءُ  
 لِي وَأَمْنًا وَرَحْمَةً وَوِقَاءُ

يَادِيَارَ الحَبِيبِ هَلْ يَأْذُنُ اللهُ  
 مَطِيحٍ [نَقِيس]: أَمَلٌ رَاضُهُ الحَسِينُ فَمَا أَحَدُ  
 عَامِرُ : وَيُكُ يَا قَيْسُ تَمَاسِكُ  
 كَرَّمَ الدَّهْرُ وَقَدْ كَا  
 بَعْدَ أَيَّامٍ مِنَ التَّ  
 أَشْجَعُ : وَآمَحَى اليَسَاسُ فَنَاضَحَى  
 مَطِيحٍ : المُنَى وَالنُّجُوحُ وَالرَّحْمَةُ  
 قَيْسُ : هَذِهِ دَارُهَا وَتِلْكَ سَمَاهَا  
 رَبُّ هَيْبِي لِنَا رَشَادًا مِنَ الأُمِّ  
 ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ : يَا أَخِي قَيْسُ جِئْتَ أَرعى الإِخَاءُ  
 لَمْ تَجِدْنِي إِلا الحَسِينُ المُقَدَّسِي  
 أَنْتَ تَدْرِي عَادًا القَبَائِلِ (١) يَا قَبِي  
 تَرْسَلُ الشُّعْرَ مُعْجَزًا يُرْقِصُ ال  
 سَتَرِي الشُّيْخُ مُحَنِّقًا يُكَبِّرُ الأُمِّ  
 قَيْسُ : يَا رَسُولَ الحَسِينِ كُنْتَ مَلَاذًا

(١) عاد : جمع عادة .

نشج القلبُ في الضلوع فأرسلتُ بكاهُ نَفَاةً وَغِنَاءَ  
 في قوافٍ جَمَعَنَ في نَسَجِهَا المُوْ شَيْ نَفْساً تَنَاطَرَتْ أَجْزَاءُ  
 أَخْطَأَ الوَجْدُ وَالصَّبَا فَالْتَمَسَ لِي الصَّفْحَ مِنْهُمْ وَالْعَفْوَ وَالْإِغْضَاءَ  
 [يتجه مطيح إلى باب خيمة الحجاب متادياً]

أَحْبَابُ يَا شَيْخَ الحَمَى أَخْرَجَ لِأَضْيَافِ كَرَامِ  
 لَازَلْتِ مَقْصُودَ الرَحْمَا بِ مَفْضَلاً بَيْنَ الْأَنَامِ  
 الحِجَابُ : مَرَجِباً بِالْكَرَامِ أَيَا يَكُونُو نَفَبَيْتُ رَحْبُورِبُ كَفِي<sup>(١)</sup>  
 [من داخل الحيام] أَدْخَلُوا آمَنِينَ

[يظهر ويظهر عندئذ مالك وطارق وآخرون]

قَبَسَ : عِمَّتَ مَسَاءَ أَيُّهَا الْكَابِرُ الْأَشْمُ الْأَبِيُّ  
 الحِجَابُ : مَنْ ؟ أَقْبَساً أَرَى ؟ وَهَذَا عَتِيقُ ؟  
 وَذَرِيحُ ؟

[ثم مخاطباً قومه] هَيُّوا الوَسَائِدَ هَيُّوا  
 [هَيُّوا الوَسَائِدَ وَيَجْلِسُ الْجَمِيعُ]

ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : إِنِّي وَافِدُ الحُسَيْنِ إِلَيْكُمْ  
 الحِجَابُ : كَرَّمَ المَوْفِدُ النَّقِيَّ التَّقِيَّ  
 [في تبجيل]

(١) الكنى : الكافي عن سواء .

بارسولَ الحسينِ مُرسَلُك الآ  
 لكَ عندي مكانُهُ أنتَ مج  
 كلُّ أمرٍ يُجابُ لابنِ رسولِ اللّٰ  
 ابنِ أبي عتيق: ذاكَ قَيْسُ تَرْبِ الحسِينِ المُفدَى  
 وله عندهُ المكانُ العلى  
 إنه لا وراءَ كفةٍ للبنى  
 حسبُ باذخٍ وفرعٌ ذكى  
 [ فتره صمت يتبادل فيها الحجاب مع بنى أخيه نظرات دالة على عدم الرضا ]

الحجاب : أَى قولٍ هذا الذى جئتُ تلقى  
 أنتمو فى ربوع كعبِ حقيقو  
 أيحيطُ الحسِينُ بالعطفِ غرّاً؟  
 ابنِ أبي عتيق: بل يجيبُ الحسِينُ سؤلَ رفيقِ  
 لو أطاقَ الحسِينُ جاءَ ولكنُ  
 قال سرُّ للحُبابِ فاسألهُ باللد  
 وترجّلُ إذا بلغتَ حماهُ واخلمِ  
 قال وايدلُّ له رجائى ونُصحى

الحجاب :  
 بعضُ هذا فقد أثرتُ كلوى  
 أزواجاً وقد رمانا فأصمى؟  
 مَطْلَبٌ ما أرى إليه سبيلا

عاتٍ في عرضنا وأغرى بنا التث  
 وعدا باغياً علينا جريئاً  
 مالك [في حقد] : وتوالى على الفتاة مُسِيناً  
 يارسولَ الحسينِ لو لم تُجرهُ  
 فافتصمنا لعرضنا وأخذنا  
 طارق : هو ما قلتَ هذه سُبَّةُ الدهر  
 الحجاب : يارسولَ الحسينِ رحماكُ فاغفرْ للشبابِ الغضابِ هذا الفضولاً (٢)  
 ساءَ لهم أن يروا أكاذيبَ قيسٍ  
 من أحاديثٍ تستفيضُ وتروى  
 هل تَرانا أهلاً وأهلي للعارِ  
 ابن أبي عتيق : يا حبابُ اتَّخِذْ فقد أفسدَ الغي  
 عدُّ جليلاً إلى أناةٍ وقصدِ  
 ذريح : إنَّ قيساً بَغَى عليكمُ ولكنْ  
 ملكَ الحبُّ لُبَّهُ فأضاعَ الرُّشَّةُ  
 هيرَ في البيدِ أُسرةً وقبيلاً  
 مارعى حُرمةً ولا عَفَّ قبلاً  
 مُمِعناً في كِذابه ومُطبلاً  
 لتركنا السيوفَ تشقني الغليلاً  
 هُ على ماجناه أخذنا وبيلاً (١)  
 ركفانا حِلماً وعفواً اجمبلاً  
 تملأُ البيدَ عرَضها والطولا  
 وقوافٍ تَسيلُ فيه مَسبلاً  
 نلقاهُ بكرةً وأصبلاً  
 ظُ عليكَ التدبيرَ إلا قليلاً  
 ما أَراني أثرتُ أمراً جليلاً  
 هل عرَفتَ الشبابَ إلا عَجُولا  
 دَ منه والرأى والمعقولا (٣)

(١) الوبيل : الشديد .

(٢) الفضول هو ما لا خير فيه من الحديث وغيره . وهو جمع نزل منزلة المفرد .

(٣) المعقول : العقل .

يا ابن كعب ندرى كرامة كعب عَظُمْتَ أَقْرُعاً وَعَزَّتْ أَصُولاً  
 واستطالت على القبائل فخراً وَرَكَتْ سُودُوداً وَمَجْدًا أَثِيلاً  
 هب فتاى المقتون قد أغلظ الذنب فهلا ترى الحسين مقيلاً ؟  
 ابن أبي عمير : إني قد قدمتُ أخطبُ لُبنِي موفداً أفايدلِ الجميلِ الجميلاً  
 جئتُ هذى الرحابَ أسعى رسولا ليت شعري فهل تُردُّ الرسولا ؟  
 الحباب : لا وجدُّ الحسينِ أرسَلَهُ اللهُ بشيراً وهادياً وكفيلاً  
 [في تأثر وانفعال] لا وجدُّ الحسينِ ماشاءَ أمضى (١) ما لنا بعدَ قوله أن نقولا  
 قد رَضِينَا بِحُكْمِهِ وَقَبَلْنَا وَالتَمَسْنَا مِنْهُ الرِّضَى وَالقَبُولَا  
 [تبدؤ مظاهر الفرح والابتهاج على قيس ومن معه]

الحباب : لُبنِي تَعَالَى أَقْبَلِي تَعَالَى  
 [متجهها إلى ناحية الحباب]

[تخرج لبنى وفي إثرها عزة]

ابن أبي عمير : عِمَتِ مَسَاءَ رَبَّةَ الكَمَالِ  
 جئتُ بَقِيْسٍ مُشْرِقِ الأَمَالِ  
 يَسْعَى إِلَيْكَ فِي الشَّبَابِ الحَالِ  
 سَأَلْتُ ذَاتَ الطَّهْرِ وَالجَمَالِ  
 أَلَا أَجَازَتِ خِطْبَةَ الرِّجَالِ

(١) أمضى الأمر : أنفذه .

بِسْمَةِ تُعْرَبُ كَالْمَقَالِ  
إِنَّ الْحُسَيْنَ لِفَتَاكِ وَالِ  
وَكَأَيْ أَنْعَمَ بِهِ مِنْ كَالِي  
وَأَنْتِ عِنْدَهُ الْعَزِيزُ الْعَالِي  
ذَاكَ وَرَبِّي مَوْضِعُ اخْتِيَالِي

: لبي

يَرْفُلُ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْإِقْبَالِ  
[يرت ابن أبي عتيق على كتفها في حنو وتكريم]

يَا آلَ كَعْبٍ أَطْعَمُوا الْجَوْعَانَ  
وَأَوْلَمُوا الْوَلَائِمَ الْحِسَانَا  
وَادْعُوا لَهَا الْجِيرَانَ وَالْخُلَصَانَا  
مَا جَاءَنَا أَكْرَمُ مِمَّنْ جَانَا  
وَلَا أَعَزُّ مَحْتَدًا وَشَانَا  
كَأَنَّ سِبْطَ الْمُصْطَفَى وَافَانَا  
وَوَفْدُ آلِ اللَّيْثِ فِي حَمَانَا  
حَلُّوا بِهِ الْأَصْهَارَ وَالضُّيْفَانَا

: الحباب

[يدخل ابن أبي عتيق وذريح والحباب إحدى الحيايم]

## المشهد الخامس

[تتمالى الزناريه . . ويتبادل الرجال والنساء صيحات الفرح والسرور]  
[يرقص بعض الأعراب رقصة السيوف . ويجتمع النساء إلى لبنى والرجال إلى قيس]

عامر : سَرَاةٌ كَعْبٍ لَقَدْ عُدْنَا إِلَى مِقَّةٍ<sup>(١)</sup>

يخاطب بنى كعب

وزال ما كانَ من حِقْدٍ ومن غَضَبٍ

أَوْلَيْتُمُونَا يَدًا بِيضَاءَ قَدْ شَرُفَتْ

لَيْثُ بَنُ بَكْرِ بِهَا فِي سَائِرِ الْعَرَبِ

أَسْمِعْ : رَعَاكُمْ اللَّهُ ، لَوْلَا لَطْفُ حِكْمَتِكُمْ

وَفَضْلُ مَكْرَمَةٍ مِنْكُمْ وَإِثَارِ [لبنى كعب]

إِذَا لَبَاتتْ عَلَي وَتَرِي قِبَانِلُنَا

وَأَتَعَبُ النَّاسِ مِنْ بَاتُوا عَلَي ثَارِ

طَارِقُ : يَا آلَ بَكْرِ حَمِدْنَا اللَّهَ إِذْ حُسِمَتْ

مِنْ بَيْنِنَا فِتْنَةٌ مَشْبُوبَةٌ النَّارِ

(١) المقة : الود والإخلاص .

العهد والودُّ منذُ اليومِ شَرَعْنَا

هل غيرُ عهدٍ وودٍّ بينَ أصهارٍ؟

[ يتصافون ويتماذقون فيزداد الهليل والهناف ]

عزة : أَلَا فَاهِنَتَا

[ متقدمة بين العرويين ]

النساء : وَأَسْعَدَا

الرجال : وَأَسْلَمَا

عزة : صفا العمرُ فاستمتعا وانعما

لقد كَفَّرَ الدهرُ عن سَعِيهِ فَأَذْرَكُنْمَا مَا تَمَنَيْتُمَا

أَلَا عَشْتُمَا فِي ظِلَالِ النِّعَمِ وَأَنْجَبْتُمَا

ثم أنجبتُمَا

: الجميع

[ في مرج ]

[ هتاف وتهليل ثم ينشد الفتيات والفتيان ]

يَا بَهْجَةَ اللَّقِيَا لُقِيَا الْحَبِيبِينَ

إِشْرَاقَةَ الدُّنْيَا فِي حَبِّ الْفَيْنِ

وَالْفَرَحَةَ السُّكْرَى فِي ضَمَّةِ اثْنَيْنِ

يَهْنِيكَ يَا لُبْنَى يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ

هَلْ يُشْرِقُ الْمَعْنَى إِلَّا بِسُزُوجَيْنِ

[ ثم ينشدون مخاطبين لبني ]

يا نَغْمَةَ الشَّادِي تَحْتَ الدُّجَى غَنَى  
 يا نَبْعَةَ الوَادِي يا غُضْنَهُ اللَّذْنَا  
 يا هَمْسَةَ النُّجُوى أَفْضَى بِهَا المُضْنَى  
 يا قُبْلَةَ الطَّلِّ رَوَى بِهَا الغُضْنََا  
 عَمَّرتِ يا لُبْنَى أَنْجَبتِ يا لُبْنَى

مطيع : بنى العمُّ ذلك عُرُسُ المُنَى  
 فهَلَّا احتشدْنَا له واحتفلْنَا

هنيئاً لقيسٍ ولُبْنَى مَعاً  
 فَلُبْنَى لقيسٍ وقيسٍ لِلْبُنَى

جميع الرجال : فلبنى لقيس

جميع النساء : وقيسُ لبني

الرجال : فلبنى لقيسٍ

النساء : وقيسُ لبني

(يُخْرَجُ الجَمِيعُ وَيَبْقَى قَيْسٌ وَبُنَى وَحَدَمَا)

## المشهاد التاسع

لبي : قيسُ أَحَقُّ ما نرى ونسمعُ  
 أم لَفَّقُوا هذى الرُّوى<sup>(١)</sup> وجمَعوا  
 أم ذاك خَدَّاعُ السَّرابِ يَلْمَعُ؟  
 قيس : تُرى أَنام القَدَرُ المروِّعُ  
 وعادَ صَرَفُ الدَّهْرِ وهو طَيِّعُ  
 لبي : وَبَرَدَ القَلْبُ فما يُفَجِّعُ  
 وأَقْصَرَ الشَّامِتُ والمُرْجَعُ  
 قيس : إني تَوَقَّعْتُ وما تَوَقَّعُوا  
 قد يَلْطُفُ اللهُ بنا فيجْمَعُ  
 فتَطْمئنُّ أَضْلَعُ وأَضْلَعُ  
 لبي : وتَسْتريحُ أَدْمَعُ وأَدْمَعُ  
 وتَشْتَقِي وجَعَةً

(١) جمع رؤيا: وهي ما يراه النائم .

قيس : ومُرَجُّ  
 لبنى : يا قيسُ هذا الرغْدُ المُمْنَعُ  
 نَسْقِيهِ من أَكْبَادِنَا فَيَبْتَعُ  
 قيس : وَنَحْشِدُ الحَبَّ لَهُ وَنَجْمَعُ  
 كَدُنَا وَسُمُرَ العَادِيَاتِ شُرْعُ  
 نَهْلِكُ . .

لبنى : لولا الطاهرُ المَشْفَعُ  
 قيس : لُبْنَى ، سلى الحىُّ يُنْبِتُكَ الذى كانا

كم راعنى دأبى الأحشاء ولهانا  
 ما ضمنى الليلُ إلا نازعاً (١) أرقاً  
 نبا به المضجعُ المَجفُو أسوانا  
 سلى شبابَ الحمى هل كنتُ أعمقهم  
 جرحاً ، وأغزرهم دمعاً وأشجانا  
 حملتُ عَيْبِي بقلبٍ كم أسيتُ له  
 قلبُ ألحَّ عليه الوجدُ ألوانا

(١) النازع : المشتاق .



لولا هواكِ وآمالُ حَيِّتُ لها  
لكنْتُ أَضْيَعُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانَا  
هَلْ تَذَكُّرِينَ عَلَى مَرَجٍ<sup>(١)</sup> مَجَالِسِنَا  
نَشْكُو هَوَانَا وَنَغْلُو فِي شِكَاوَانَا  
وَحَوْلِنَا اللَّيْلُ يَطْوِي فِي غَلَائِلِهِ  
وَتَحْتَ أَعْطَافِهِ نَشْوَى وَنَشْوَانَا

لبنى : نكادُ من بهجة اللقيا ونشوتها  
نرى الربى أَيْكَةً ، والرمل بُسْتَانَا  
ونحسبُ الكونَ عَشْرَ اثْنَيْنِ يَجْمَعُنَا  
والماءَ صِهْبَاءَ ، والأنسَامَ أَلْحَانَا  
ونحسبُ العمرَ فيضاً من صِبْأً وَهَوَى  
والغيبَ مَلَانً بِالْإِشْرَاقِ رَبَّانَا  
قيس : لم نعتنقُ والهوى يَفْرَى جَوَانِحِنَا  
وكم تعانقَ روحانا وقلبانَا

---

(١) مرج : غدير من غدران وادي العقيق مشهور بجماله ووفرة مائه .

نُغْضِي حَيَاءً وَنُغْضِي عِفَّةً وَتُقَى

إِنَّ الْحَيَاءَ سِيَّاحُ الْحَبِّ مُذْ كَانَ

نَمْ انْشَيْتَنَا وَمَا زَالَ الْغَلِيلُ لَطَى

وَالْوَجْدُ مُحْتَرِمًا وَالشُّوقُ ظَمَانَا

لَبْنِي : يَا قَيْسُ ذَكَرْتَنِي عَهْدًا نَعِمْتُ بِهِ

حِينَ وَضَعْتُ بِهِ يَا قَيْسُ أَحْيَانَا

فَفِي سَبِيلِ الْهَوَى مَا ذَابَ مِنْ مَهْجٍ

وَأَهْلٌ مِنْ مُقَلِّ زُلْفَى وَقُرْبَانَا

خُضْنَا اللَّيَالِي نَشْكُوهَا وَنُنْكُرُهَا

حَتَّى التَّقِينَا فَقَدْ لَدَّتْ لَنَا الْآتَا

يَا لَيْلُ فَاشْهَدْ وَأَشْهَدِي يَا أَرْبَعُ : قَيْسُ

هَذِي أَمَانِي الصَّبَا تَجَمَّعُ

وَتَلِكُ أَكْمَامُ الْهَوَى تَضَوُّعُ

تَرَفُّ فِي وَشْيِ الْمَنَى وَتَلْمَعُ

نَجْمُكَ فِي لَيْلِ حَيَاتِي يَسْطَعُ

وروحىَ الظمأى وأنتِ المشرعُ  
بلغتُ آمالى فمما لى مطمعُ

ستار

## الفصل الثاني

[في حى ايث بن بكر. دار لقيس وليبي . وكان قد مضى على زواجهما خمس سنوات ]  
[يدخل قيس كأنما هو مريض يتأمل للشفاء ، ويمشى معتمداً على لبي ]

### المشهد الأول

[ قيس . . . لبي . . . ]

لبي : برئت<sup>(١)</sup> يا قيسُ فأنعمْ عليّ مدي أعوامك  
قد مرَّ عامٌ طويلٌ فلم تقم من مقامك  
[تركه يمشى وحده]

سرّ قيس لا تخش بأساً سلمت من كل شرّ  
قيس : وإن عيّت ؟

لبي : فهذا صدري أيجزى صدري ؟  
[في مرح]

قيس : تخاذلت خطواتي

لبي : بل نبتة خطواتك

قيس : أكاد أسقط ضعفاً

لبي : إن الضعاف عذاتك

(١) برا وبرى من مرضه يبرأ من بابي نفع وتمب : شئ .

قيس لبني ! كفى أجلسيني فقد شممت المسيرا  
 قطعت بهوين مشياً وكنت جلدًا صبوراً  
 لبني : أرى حنوي وعطفي قد أفسدك كثيراً  
 (في مرح ظاهر) ما شئت يا قيس فاصنع ألسن طفلاً كبيراً ؟!  
 [تجلسه في عناية على مقعد وثير وتجلس إلى جانبه بجوار نافذة تطل على حديقة]

قيس : لبني ! أثابك ربى كل صالحه  
 عني وجازاك معروفاً وإحساناً  
 فني ذراعيك أبصرت الدنيا اجتمعت  
 مجلوة ورأيت الدهر مُزدانا  
 لبني : يا قيس ! برؤك رد العمر لي أملاً  
 والدهر مُوتلقاً والعيش رياناً  
 اليوم أنسيت أياماً شقيت بها  
 وأصبح القلب لا قاسي ولا عاني  
 رأيت في بيتك النعمى مُذلة  
 قطوفها ، ورأيت العطف فينانا

وَدِدْتُ لَوْ ظَلَّتْ الْأَيَّامُ غَافِلَةً  
 عَنَّا ، وَهَلْ سَأَلْتِ مِنْ قَبْلِ إِنْسَانَا ؟  
 قيس : لُبْنَى ! فِدَيْتُكَ هَلْ مَا زَلَّتِ نَاعِمَةٌ  
 كَسَابِقِ الْعَهْدِ أَمْ تُخْفِينَ أَشْجَانَا  
 أَكَادُ أَبْصَرَ حَالاً غَيْرَ رَاضِيَةٍ  
 كَأَنَّمَا بَعْضُ أَنْسِ الْعَيْشِ قَدْ بَانَ  
 يَضِيقُ صَدْرِي بِمَا نَلَقْتِينَ مِنْ عَنَتِ  
 وَمَا تَذَوَّقِينَ مِنْ شَيْخِي أَحْيَانَا  
 رَحِمَتِي فَكُنْتِ الْجَرَحَ كَيْسَةً  
 وَزِدْتِ حِلْماً وَإِعْضَاءً وَإِحْسَانَا  
 قيس : يَا قَيْسُ ! كُلُّ بَيْوتِ النَّاسِ حَافِلَةٌ  
 بِعَارِضٍ مِنْ خِلافِ جِلٍّ أَوْ هَانَا  
 فَلَا تَبِينَنَّ مَشْغُولاً بِتَافِهَةٍ . . .  
 مِنْ الْأُمُورِ ، وَلَا تَجْعَلِي لَهَا شَانَا  
 مَا دَمَتْ لِي فَالذُّنَا تَحْنُو بِأَنْعُمِهَا  
 لِي حَتَّى كَأَنَّ الْخَلْدَ دُنْيَانَا

قيس : صَحْبَتِي حِجْبًا خَمْسًا سَعِدْتُ بِهَا  
 مَا قَلَّ حُبُّكَ يَا لُبِّي وَمَا هَانَا  
 مَا زَادَنِي قُرْبُكَ الْحَائِي سِوَى وَكَلِهِ  
 كَأَنَّمَا ضَمَّ لِلنَّبِيرَانِ نِيرَانَا  
 إِنَّ أَنَسَ لَا أَنَسَ هَذَا الْعَامَ بَرِّكُنِي  
 وَالِدَاءُ يَمْلَأُونِي نَفْسًا وَجِسْمَانَا  
 مُوسِدًا لَمْ يَذُرْ مِنِّي الدَّقَامَ لَقَى (١)  
 إِلَّا فَوَادًا وَأَنْفَاسًا وَوَجْدَانَا  
 فَكُنْتُ لِي فِي ظِلَامِ الْيَأْسِ أُمْنِيَّةٌ  
 وَكُنْتُ فِي سَكْرَاتِ الْمَوْتِ سُلْوَانَا  
 وَمَا رَأَيْتُكَ وَالْأَدْوَاءُ تَفْتِكُنِي  
 إِلَّا وَزَوَّدْتَنِي صَبْرًا وَإِيمَانَا  
 لَبِي : كَمْ مِنْ تَبَارِيحٍ لَيْلٍ بَتَّ تَكْنُمَهَا  
 كَمَا أَقْرَّ وَقَمَتَ اللَّيْلَ سَهْرَانَا  
 وَأَنَّةٌ لَمْ نَزَلْ فِي فَيْكٍ حَائِرَةٌ  
 حَبْسَتَهَا فَاسْتَحَالَتْ فِي نِيرَانَا

(١) لقي : ملق .

قيس : أخشى عليك بكاء القلب خالية  
 قد يدمع القلب دون العين أحيانا

## المشهد الثاني

[تدخل عزة . . ومطيع . . ويكونان قد ظهرا على المسرح منذ لحظات]

عزة [ضاحكة] : رويدكما أيها العاشقان  
 أما تسأمان الصبا والغزل  
 ألم تنسبا بعد فيض الدموع  
 وخفق الضلوع ولحن القبل  
 أليس لهذا الهوى آخر  
 لعمرى فذاك الهوى المفتعل  
 مطيع : دعى العاشقين وكفى العذل  
 فما العيش إلا الهوى والأمل  
 ألم تسمعي عذب نجواهما  
 وأعذب منها حديث المقل  
 [في خبث] رفاء<sup>(١)</sup> ينضر وجه الحياة  
 وحب يضيء ظلام الأجل<sup>(٢)</sup>  
 لقد عرفنا ما نعيم الحياة  
 وغيرهما ساء رأياً وضل  
 عزة : تعرّض بي ظالماً في الحديث  
 كأنك زوج كفى واكتمل  
 أتذكر أنت نعيم الهوى  
 ونجوى المحبين . يالللخجل

(١) الرفاء : التعاب والتوافق . (٢) الأجل : العمر كله .

تحدثنى لا لأنيس الحديثِ ولكن لتفتحَ بابَ الجدلِ<sup>(١)</sup>  
تُحبُّ ولكن لذيذَ الكرىِ وتهوى ولكن شهى الأكلِ  
[بتضاحكون . . .]

بنى : ظلمتِ مطيعاً بما سقتهِ وجرتِ وأى لَعُوبِ عدلِ  
[في مرح] جَهَرَتْ بِشكواكِ من هَجْرِهِ فهل تَغْفِرِينَ إذا ما وصلَ؟  
[ضحك وتغامز . . . يدخل الخادم]

الخادم : بالبابِ عَرَّافٌ سَلَعٌ<sup>(٢)</sup>

قيس : إيذنْ له في الحضورِ  
[يخرج الخادم]

بنى : لائى لِعَرَّافِ سَلَعِ ياقيسُ جدُّ شَكُورِ  
وَالأَكَّ غَيْرَ ضَنِينِ بَفَنِهِ الموفورِ  
ولم يُقَصِّرْ علاجاً على مَمَرِّ الشُّهورِ  
[يدخل العراف]

العراف : سلامٌ، كيفَ أَصْبَحْتُمْ

قيس : على أَحْسَنِ مانأملُ  
إذا ما أَقبلَ الليلُ بنومٍ هادىً أَقبلُ

(٢) جبل بالمدينة المنورة .

(١) الجدل : الحديث في خصومة .

فَلَا نَزْفٌ وَلَا حَمَى تَذُكُّ الْمَتْنَ وَالْمَفْصِلُ  
 مَشَيْتُ الْيَوْمَ فِي الدَّارِ فَلَمْ أَسْقُطُ وَلَمْ أَحْمَلُ  
 أَرَانِي عَدْتُ لِلدُّنْيَا تَعَالَى الْمُنْعَمُ الْمَفْضِلُ  
 عِزَّةٌ : وَعَادَ الْيَوْمَ لِلشَّعْرِ وَلِلوَجْدِ وَلِلحَبِّ  
 [فِ مِرْح] سَمِعْنَاهُ يُنَاجِيهَا بِلَحْنٍ مِنْ دَمِ الْقَلْبِ  
 تَنَاسَى أَنَّهُ زَوْجٌ فَأَبْدَى لَوْعَةَ الصَّبِّ  
 رِيَاءٌ يَعْلَمُ اللَّهُ وَكَذِبٌ أَيَّمَا كَذِبِ  
 [ضَحْكٌ . . .]

العِزَّةُ : تَعَالَى اللَّهُ حَاسِمٌ كُلِّ دَاءٍ أَرَى قَيْسًا تَأَلَّقَ كَالصَّبَاحِ  
 [وَدُوٌّ يَنْظُرُ لِقَيْسٍ] بَرِئْتُ فَأَشْرَقَتْ لِبْنِي وَقَرَّتْ وَعَادَتْ لِلنُّصَارَةِ وَالْمِرَاحِ  
 أَحَاطَ اللَّهُ صَاحِبَهَا بِحِفْظِ وَأَنْجَاهُ مِنَ الْقَدَرِ الْمُتَاحِ  
 رَثِيْتُ لَهَا اللَّيَالِي وَهِيَ حَسْرَى تَدَافِعُ بَيْنَ هَمٍّ وَالتَّبَاجِ  
 شَهِدْتُ كِفَاحَهَا وَالْمِرْتُ دَانِ  
 فَكَانَ وَفَاؤَهَا رَوْحَ الْكِفَاحِ

لِبْنِي : سَنُوْسَعُ فَضْلِكَ الْمَأْتُورُ شُكْرًا  
 [لِلْعِرَافِ] وَنَذَكُرُ حُسْنَ عَطْفِكَ مَا حِينَا

لقد أنقذتنا ودفعت عنا  
قيس : أأَسَأَلُكَ الْجَمِيلَ وَوَدِدْتُ أَنْي  
وَكُنْتَ أَدَاةَ لَطْفِ اللَّهِ فِيْنَا  
خَرَجْتُ لِحَيْنَا وَبَنَى أَبِينَا  
سَأَلْتُكَ مَرَّةً فَصَدَدْتَ عَنِّي

العراف :

تمتع بالحياة اليوم واخرج  
وعذ فافض على الدنيا بياناً  
لقد أسمعنا السحر المبيناً  
سكبت على الحجاز ندى وظلاً  
إلى أترابك المتشوقينا  
وقجرت الرمال به عيوننا  
عزة : شهادة صاحب حديث خدن<sup>(١)</sup>

[ثم تنبه قيس] ألا قارضته مئناً بيمين  
[ضحك]

لبي : أما شعرت بجوع  
(في تدليل) يا قيس إن شئت مرني

قيس : هاتيه يا نور عيني  
فإن طعمت فربي

إن الطعام مهياً  
تجد خواناً شهياً  
هاتيه لي بيدك  
هناك في شفتيك

(١) الخدن : الصديق ، وأغلب استعمالها في صديق السوء .

عزة [لطيف والمراد] هل تسمعان لقيس وهل ترى تنظران ؟

يحسو بعينه لُبني عينانٍ منهومتان !

لم تَعْدُوا قَطُّ عنها وَقَلَّمَا نشيعان

لنى : كفاك يا عزَّ لغواً وأقبلى ساعدينى

هل تصلحينَ لشيءٍ إلا لهذا المجون !

[لبنى تدفع عزة إلى خارج البهو في مرح ظاهر بين ضحك الباقيين]

قيس : إني سُمِدتُ بحبِّ لُبني قانعاً

بهواىٍ من هذى الحياةِ بِأسْرِها

طلعتُ إشراقَ الحياةِ وحُسْنِها

في حُسْنِ طلعتِها ومُشرقِ طُهرِها

مطيع : ما زالَ قيسٌ غارقاً في حبِّها

رَطَبَ اللسانِ بحمديها وبشكرِها

يَرَوى مفاتِنَها فيبلغُها المدى

كَلِفاً بها مُتأنقاً في ذكرِها

ويظلُّ في شَغفِ المحبِّ وشَجْوِه

يُنبيكَ عن نارِ الغرامِ وحرِّها

وهو الذي يُمسي ويُصبحُ عندها

إن شاء لم يبرحْ مُعَطَّرَ خِدْرِهَا

العراف : أمطعُ قد أشبهتَ زوجَكَ عامداً

في ظلمها ، وشأوتها في هُجرها

قيس (في صراحة جده) : دَعُ ذاكَ ولنغنمَ فديتكَ خلوةً

قد هَيَّئْتِ لثلاثةِ أَحلافِ

إني لآملُ منك رأَى مُجربٍ

خَيْرَ الأُمُورِ ، ومن أخى العرافِ

قد أصبحَ العُشُّ السعيدُ بأهله

وَكراً لكلِّ قَطيعَةٍ وخلافِ

مَسْكِينَةٌ لبني تَضيقُ بهمها

فتذيبُهُ في دمعها الذرافِ

وتَبَّبتُ نكتمنى الشجونَ وربما

أَفضتُ بها للمضجعِ المُتجافِ

مطع : يا قيسُ ! ليسَ الرأى سَهلاً هيناً

ولو أنَّ وجَهَ الحقِّ ليسَ بخافِ

أَبِوَاكَ قَدْ ضَاقَا بِهَا وَتَنَكَّبَا  
فِي أَمْرِهَا عَنِ شِرْعَةِ الْإِنصَافِ  
حَمَلَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ وَأَرْجَفَا  
مَا أَوْلَعَ الشَّيْخِينَ بِالْإِرْجَافِ  
العراف : يَا قَيْسُ إِنَّكَ قَدْ بَرِئْتَ فَلَمْ أَعُدْ

أَخَشَى عَلَيْكَ تَقَلُّبَ الْأَدْوَاءِ  
فَانْهَضْ بَعْبُثَكَ بَيْنَ أَهْلِكَ وَالتَّمَسْ  
حَسْمًا لَتَلِكِ الْحَالَةَ النَّكْرَاءِ

فِي بَيْتِكَ احْتَدَمَ النَّزَاعُ فَأَصْبَحَ الْ  
دَانِي عَلَى عِلْمٍ بِهِ وَالنَّائِي  
فَإِذَا بَحِثْتَ عَنِ الدُّوَاغِ لَمْ تَجِدْ  
غَيْرَ الْهَوَى وَالنُّزُوقِ الْحَمَقَاءِ

قَيْسُ : إِنِّي طَلَبْتُ الرَّأْيَ يَجْلُو حَيْرَتِي  
وَيَرُدُّ لِي فِي الْعَيْشِ بَعْضَ رَجَائِي  
فَأَبَيْتُمَا إِلَّا شِكَايَةَ مُشْتِكِ  
وَصَصَّنْتُمَا بِفَوَاصِلِ الْآرَاءِ

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى رِضَى أَبِي عَن  
لُبْنَى؟

مطيع : طلبتَ خوارقَ الأشياءِ

لن يَرْضَا عنها ولو جَاءَتْهُمَا

بِخَلَاتِقِي كَخَلَاتِقِ الزَّهْرَاءِ<sup>(١)</sup>

[تدخل لبني وعزة ومعهما سلال بها طعام وشراب]

عزة : جُئْنَا لَكُمْ بِطَعَامٍ تَهْوَى النُّفُوسُ إِلَيْهِ

لَنَا اقْتِرَاحٌ فَهَلَّا وافقتمونا عَلَيْهِ

لبني : إِذَا لَمْ يَرَ العَرَاْفُ بِأَمًّا فَلَيْتَنَا

خَرَجْنَا فَقَدْ سَالَ العَقِيقُ<sup>(٢)</sup> وَأَعْشَبَا

لَنَا فِي حَوَاشِي حِضْنِهِ السَّمْحُ رَوْضَةٌ

عزة : تَعَالَوْا نَذُقْ فِيهَا النِّعَمَ المُحِبَّبَا

لبني : تَضَعُ أَنفُسُ عَنْهَا أَسَاها وَهَمَّها

عزة : وَتَسْتَلْتِي فِي حِجْرِ الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا

(١) لقب للسيدة فاطمة بنت رسول الله .

(٢) العقيق : واد بالمدينة المنورة إذا سال حمل الرزق والحيز .

لبنى : خمائلُك الغنَاءُ يا قيسُ طالما  
تبعَدَ عنها ربُّها وتغيَّبَا  
أكادُ أراها حينَ ضمتكَ سالماً  
تَضاحكُ فيها زرعُها وتأنسبَا<sup>(١)</sup>

العراف : رأيتِ صواباً فانهضوا وتأهبوا  
فإن لنا فيها مراحاً وملعباً

قيس : ويا عزُّ فابغى والديَّ فإنَّهما  
أجابا فأهلاً بالكرمينِ مرحبا

عزة : سأفعل فامضوا هانئين  
العراف : فما أرى

[لعزة بينا تخرج لبني بقيس] رجاءك في الشيخين إلا مخيباً  
ستلقين إعراضاً وسخطاً وربما  
ألماً بلبنى ظالمين فأسهباً

---

(١) تأشب : التفت وأينع .

أَكَادُ أَرَى فِي الْأُفُقِ خُطْباً مَرُوعاً

رَى عَشَّ قَيْسٍ بِالْدمَارِ وَخَرَباً

[ يلحق العراف ببنى قيس ويبيق مطيع وعزة ]

عزة : أرى العراف ما كذبا فإن الأمر قد حزبا

يرى الشيخان في لبني عدوا مضمرا حزبا

هما شنا وما عدلا عليها الحقد والغصبا

فكم ظنا الظنون بها وبعض الظن قد كذبا

وقيس بات بينهما طليح الهيم مكتسبا [ مطيع وهو خارج ]

وكان الأنس مؤتلفا فأضحى الأنس منشعبا

### الشهيد الثالث

[ يدخل ذريح وأم قيس ويخطبان قيساً من بعيد ظانين لضعف نظرها

أنه في غرفته لم يخرج كما دته . وتدخل في إثرهما عاتكة ]

ذريح : سلامُ الله يا قيسُ

أم قيس : سلامُ الله يا ولدي

عزة : لك البشري ، مشى قيسُ  
 ذريح : هدأت الآن يا قلبي  
 أم قيس : تمنينا فأعطينا  
 ذريح : وأين ابني ؟

عزة : لقد خرجوا فما بالدار من أحدٍ  
 مضوا للروض يبغون جلاء الروح والجسد...  
 ذريح : فتأكما قيسُ ويرجو أن تجيئاهُ  
 قيسُ (٢) أنسه بكما وذلك ما تمنناه  
 [ياتفت الشيخان بعضهما إلى بعض في استنكار]

أم قيس : عجبتُ لما تقولين فإن العقلُ يابأه  
 ذريح : لقد أمعنت يا قيسُ كأننا فنلقاهُ  
 أم قيس : أي دعونا ويرعانا  
 ذريح : فما ترضاه نرضاه  
 أم قيس : أبا قيسِ ظلمناه

(١) الوعك : ما يجده المريض من الألم .

(٢) ضفا يصفو : زاد وكثر .

فَمَا قَيْسٌ بَدَى لُبُّهُ أَلَمْ تَسْلُبْنَاهُ لِبْنَاهُ  
 ذَرِيحٌ : صَدَقْتَ فَلَمْ تَزَلْ لُبْنِي شَقَانَا ، حَسْبُنَا اللَّهُ  
 عِزَّةٌ : أَبَا قَيْسٍ أَرَاكَ شَكْوَتَ لُبْنِي بَلَا ذَنْبٍ حَقِيقٍ بِالشَّكَاةِ  
 فَهَلْ أَنْكَرْتَ مِنْهَا غَيْرَ فَضْلِي وَأَخْلَاقِي زَكِيْنَ وَمَكْرَمَاتِي  
 أَقَامْتُ فِي رِبْوَعِكَ مَا أَقَامْتُ فَكَانَتْ زِينَةً لِلْقَانِتَاتِ (١)  
 أَطْعَمْتُمْ كُلَّ وَاشِيَةٍ بِلُبْنِي وَمَا أَلْقَيْتُمْ بِسَمْعٍ لِلْوُشَاةِ  
 أَمِنْ أَخْطَائِهَا الْكَبِيرَى هَوَاهَا لَقَيْسٍ . تِلْكَ إِحْدَى الْمُضْحَكَاتِ  
 عَاتِكَةٌ : عَلِمْتَ الْحَقَّ ثُمَّ صَدَدْتَ عَنْهُ وَجُرْتَ عَلَى مَقَامِ الْفُضْلِيَّاتِ  
 كَأَنَّكَ نَجْهَلِينَ صِفَاتِ لُبْنِي لَقَدْ لَوَّمْتَ وَهَانَتْ مِنْ صِفَاتِ  
 فَمَا عَمِي بِظَالِمِهَا فَتِيلاً

عِزَّةٌ : حَسَدَتْ فَكَانَتْ شَرًّا الْحَاسِدَاتِ  
 عَاتِكَةٌ : وَمَا حَظِيَّتْ لَدَى قَيْسٍ بِفَضْلِي وَلَكِنْ بِالْحِظْوِظِ . الْمُقْبِلَاتِ  
 أُمُّ قَيْسٍ : سَعَتْ بِي عِنْدَ قَيْسٍ مِنْ دَحَلَتْ فَهَنْتُ عَلَيْهِ بَيْنَ الْوَالِدَاتِ  
 تُحَرِّضُهُ وَتُوغِرُهُ عَلَيْنَا وَتَنْفُثُ فِيهِ سِحْرَ السَّاحِرَاتِ  
 سَيَصْحُو الْمَدْنَفُ الْمَفْتُونُ يَوْمًا فَيَلْفِظُهَا وَهَذَا الْيَوْمُ آتٍ

(١) الملعبات .

عزة : أيا أمأه ما أنصفتِ لبنى  
 حَقَدْتِ فَمَا بَرْتِ مِنْ افْتِثَاتِ  
 رُوَيْدِكَمَا فَلَبِنِي عِنْدَ قَيْسِ  
 مَنِ الدُّنْيَا وَأَمَالُ الْحَيَاةِ  
 فَإِنْ لَمْ تَرَحِّمًا لِبْنِي ، فَقَيْسًا  
 وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ الْعَادِيَاتِ (١)  
 [ تَبْدُو عَلَى ذَرِيحٍ وَزَوْجَتِهِ مَظَاهِرُ دَالَّةٍ عَلَى الْحَقِّ . . تَخْرُجُ عِزَّةُ ]

### المشهد الرابع

[ ذريح .. أم قيس .. عاتكة .. ]

ذريح : يا أمَّ قَيْسِ  
 أم قيس : ضِيقُ ذَرَعًا بِالذِي أَلَى  
 ذريح : فَهَايَ النَّصْحَ وَالْإِشَادَا  
 أم قيس : أَصْبَحْتُ أَبْرَمُ بِالْحَيَاةِ فَمَا أَرَى  
 ذريح : كُنَّا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ وَالذُّهَا  
 أم قيس : حَتَّى بَنَى قَيْسٌ لِبْنِي فَا بْتَنِي  
 ذريح : كَانَ الْحَقُّ بِنَا الْمَطِيحَ ...  
 أم قيس : فَلَمْ تَزَلْ  
 ذريح : تُغْرِيه حَتَّى عَقَّنَا وَتَمَادَى

(١) جمع عادية وهي الظلم والشر والنكبة . (٢) بنى بها : تزوجها .

- ذريح : لم تُبقي لبي في فؤادك رحمةً يا قيس
- أم قيس : بل لم تُبقي فيه فؤادا
- أرأيت كيف إذا اجتمعنا خصمها بولائه وحديثه ورعاها
- عائكة : أرأيت كيف يحوطها بحنوّه .. ويرى الرجود وما يضم فداها
- وتكاد تنهل روحه من روحها؟
- ذريح : ضلّ الغوى فما يحس سواها!
- أم قيس : أشهدتها أيام علته وقد
- تلقى إليه بخادع من عطفها وممّوء من حبها وهواها
- عائكة : تذكى صبايته بباسم ثغرها وتهز مهجته بحرّ بكائها
- الأب : يا للغيّ ، يظن ذلك اوعه
- أم قيس : جهل النساء وكيدها ودهاها

## المشهد الخامس

[ يدخل قيس والعراف وعامر وأشجع . وفي إثرهما مطيع وابني وعزة ]

قيس : أبوى لم نَنعمْ بأيسرِ مُتعةٍ

أنى <sup>(١)</sup> يكونُ وأنما لم تحضراً

جئنا لنسعدَ بالجلوسِ إليكما

ذريح : عجباً !!

قيس : وأى عجيبةٍ فيما ترى ؟

ذريح : اليومَ يومُ شِفَاكَ كيف نسيْنَا

أم قيس : إننا نراك أتيتَ أمراً مُنكراً

ذريح : لو قد سعيتَ لنا شَفَيْتَ نفوسنا

ورددتَ للأجفانِ مُمتنعَ الكرى

أم قيس : دعه فلو ذاقَ الأبوةَ مرةً

لرعى حقوقَ الوالدينِ وقدرًا ...

[ تضطرب لبني، وينظر الجميع بعضهم لبعض في وجوم ]

(١) أنى : كيف .

علم : يا عم لا تغضب فشانك بيننا  
[محاولة إنقاذ] [الموقف]

إمّا زلنا أن تُقيلَ وتَغفِرا  
أنتَ الذي نأوى لباذخِ ركنِهِ  
لا زلتَ منصورَ اللواءِ مؤمراً

بلغت قبائلنا بمجدك مجدّها  
وتبوّأت بسناك أعرافاً<sup>(١)</sup> الذرّ

للفضل والرأى الموقفِ والحِجَا  
تَبَقَى ، وللعزّ المُمْنَعِ والقِرَى

ذريح : جاوزتَ يا بنَ أخي المدى فسموتَ بي  
[متجهماً]

وأنا بأبياتي الذليلُ المُزْدَرَى  
ما كان سيدَ قومِهِ مَنْ قومِهِ  
لا يابُتهونَ بما يقولُ وما يرى

قبس : أبتاهُ ماذا قُلْتَ ، أَيّ مذلةٍ  
[في انفعال]

تَلَقَى ، إذ أنا يا أبايَ أشقى الورى

(١) واحداً : عرف ، وهو ما ارتفع من الأرض .

ما كنتُ إلا ابناً فداك بروحِهِ  
 ورأى رضاءِ اللهِ فيكَ مُصَوِّراً  
 قَضَيْتُ أباي مُطِيعاً حانياً  
 أَخَشِي عَلَيْكَ مِنَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى  
 وَعَرَفْتُ لِلْأُمِّ الْكَرِيمَةِ فَضْلَهَا  
 بِالْحَبِّ أَجْزَاهَا الْجِزَاءِ الْأَوْفِراً  
 أَبَوَى مَاذَا تُنْكَرَانِ وَأَنْتِمَا  
 عِنْدِي أَعَزُّ وَخَيْرٌ مِنْ وَطِيءِ الثَّرَى  
 أم قيس : يا قيسُ لم تُعَدِ الوَفَى لِأَهْلِهِ  
 إِنِّي لَجِدُّ أَسِيفَةٍ أَنْ أَجْهَرَا  
 أشجع : ماذا جَنَى قَيْسٌ ؟ . . .  
 أم قيس : كَأَنَّكَ جَاهِلٌ  
 أشجع : بل قد علمتُ فما وِى أَوْ قَصْراً  
 ذريح : قَيْسٌ تَجْهَمُنَا وَأَهْمَلْ أَمْرَنَا  
 أم قيس : بل غَيْرَتُهُ زَوْجُهُ فَتَغَيَّرَا

المَالُ مَا لُ أَبِيكَ كَيْفَ حَبَسْتَهُ  
 عَنَّا وَسُقَّتْ لَهَا الْحُلَى وَالْجَوْهَرَا  
 نَبَسُوا بِأَخْلَاقِ الثِّيَابِ وَتَرْتَدَى  
 لِبْنِي الدَّمَقَسَ مُقَوِّفًا وَمُدَنَّرًا<sup>(١)</sup>  
 وَإِذَا مَرَضْنَا عُدْتَنَا مَتَنَاقِلًا  
 وَتَكَادُ إِنْ وُعِكَتْ تَذُوبُ تَحْسِرًا

ذريح : وإذا دخلت الدار لم تبعاً بنا  
 ودعوتها فرحاً بها مُستبشراً  
 وتراك لبني مُقبلاً مُتهللاً  
 في حين لا نلقاك إلا مُدبراً

قيس : بهواي إلا ما احتملت، هبهما  
 [ليني في همس] وتسمهارة]  
 مُتَجَنِّينَ ، فَمَا نُنَا أَنْ نَصْبِرَا

كَبِيرَا وَمَنْ عَلَتِ السَّنُونَ بِهِ ابْتغَى  
 مِنْ أَهْلِهِ وَذَوِيهِ عَطْفًا أَكْبَرَا

(١) المقوف والمدنر : ضربان من نقوش الثياب .

عزة [لنفسها] : كبراً وما التسعون إلا ملعبٌ

يبدو به خرفُ المشيبِ مشهراً

عاتكة : ما ذنبُ قيسٍ والمحرّضُ غيرهُ ما زالَ قيسٌ للجميلِ ميسراً  
صوناه من سحرِ بيتِ يذوقه فيظلُّ مسلوبَ الرشادِ مُصيراً<sup>(١)</sup>  
لا تظلماً قيساً . . .

قيس : أعاتكُ أمسكى قد كنتِ أظلم من تجنّى وافترى

وضعتِ السمَّ في الدسمِ وفهتِ بأظلمِ الكلمِ

ورومتِ الغصّ من لُبني بما ألقيتِ من تُهمِ

فلبني من سناً خلقتُ ومن طُهرٍ ومن كرمِ

حلفتُ بمُبدعِ الدنيا وباري الخلقِ والنسمِ

لقد ظلموكِ يا لُبني وما قسَمي بمتهمِ

لبي : سمعتُ بأذني اليومَ وكنتُ إخالُ من قديمِ

أرى أبويكُ نالاني بجرحٍ غيرِ مُلتئمِ

أبوكُ تخذتُ منه أيأ فأمسي وهو مُهتضمي<sup>(٢)</sup>

وأملكُ قتلها أما فعادتني بلا جرمِ

(١) مصيراً : محبواً ، من صاره يصيره حبه ، والصيرة بكسر أوله : حظيرة الفم .

(٢) المعتصب الظالم .

هما ظَلَمَا وما عدلَا وَقَيْتُ فِضِيْعَا ذِمِّي  
لَأَجْلِكَ يَا شَقِيْقَ النَّفْسِ لِمَ أَعْتَبْتُ وَلِمَ أَلَمْتُ  
صَبْرْتُ وَفِي سَبِيْلِ رِضَاكَ مَا أَلَى مِنَ الْأَلَمِ  
يا قَيْسُ خُذْهَا مِنْ أَبِيكَ صَرِيْحَةً [ ذريح  
في تحد ]

لا ظالمٌ فيها ولا هو أجنفٌ (١)  
إن شئتَ فاخترتُ والديك كليهما  
أو شئتَ فاخترتها ، فذاك الموقفُ  
قيس : أبتِ ! أراك أثرتَ أمراً فادحاً  
يَهْوَى ببيتينا - الغداة - ويعصِفُ  
خَيْرَتِي أمرين ! ذاك خيانةُ  
ما تُستطاع ، وذا عقوقُ مُسرفُ  
أبتِ ! أظنك لا تجدُ فليس في  
قُدْسِ الْأَبْوَةِ غِلْظَةٌ وَتَعْسِفُ ؟  
أبتِ ! أَتَنْزِعُ أَضْلعاً مِنْ أَضْلعِ  
أبتِ ! أَتُحْرَقُ مَهْجَتَيْنِ وَتُتَلِفُ ؟

(١) الأجنف : المنحرف الجائر .

أم قيس : يا قيس سرّخها<sup>(١)</sup> فإنك واجد  
أخرى تقرّ بها ، وربك مُخلفُ  
هبطت علينا كالفرّاقِ ولم نزل  
تسعى إلينا بالشقاء وتذليفُ  
يا قيس أنصف والديك بتركها  
لا زلت تُكرمُ والديك وتُنصفُ

عامر : يا أمّ قيس ما أشرتِ بصالحٍ  
فيا طلبتِ ولا رأيتِ صواباً  
أبروعُ زوجته ويهدمُ بيته  
أملُ تعلق بالخيالِ وخاباً  
أمّاهُ جرتِ وأنتِ ياعمُ اتئدُ  
خافاً حساباً فادحاً وعقاباً  
أشجع : أحسنتِ عامرُ قد أبنتَ عن الذي  
نرضاهُ شيئاً في الحمى وسباباً

(١) التبريح : الطلاق .

إِنَّا لَنُكَبِّرُهَا وَنَعْلَمُ أَنَّهَا  
رَفَّتْ<sup>(١)</sup> شِهَاباً بَيْنَنَا وَسَحَاباً  
لَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرُ خُلُقٍ كَامِلٍ  
أَرَأَيْتَ مَنْ نَقَضَ الْكِمَالَ وَعَابَا؟

عامر : أَشَقَى الْوَرَى مِنْ فَضِّ شَمَلَا جَامِعاً  
أَوْ بَاتَ يَنْعَقُ فِي الْبُيُوتِ غُرَاباً

ذريح : يَا بَنِي أَخِي حَادِدْتُمَا<sup>(٢)</sup> وَبَغَيْتُمَا  
وَالْبَغْيُ مَرْتَعَةُ الْغَدَاةِ وَخِيمُ

سَفَهَاتِنَا ظَالِمِينَ وَهَكَذَا  
يَرَى لَيْثِمٌ أَهْلَهُ وَزَنِيمٌ<sup>(٣)</sup>

قَيْسٌ أَبْرُؤُ بَوَالِدِيهِ فَأَمْسَكَ  
مَا كَانَ يُغْضِبُ وَاللَّيْثُ كَرِيمٌ

أم قيس : يَا قَيْسُ مَا لُؤْأَبِيكَ مَا لُؤْغَامِرُ  
وَشَرَاؤُهُ فِي الْكَابِرِينَ عَمِيمٌ

(١) رففت : تألقت أو اهتزت .

(٢) حادد : غاضبه وعاداه .

(٣) الزنيم : الدعى اللئيم .



يا قيسُ أنتَ وحيدنا فحياتنا

ليست إذا إلا عليك تقومُ

ذريح : قد كنتَ يا بني لاعدمتكَ خطوةٌ

من برزخ<sup>(١)</sup> الأخرى وأنتَ سقيمُ

فلئن قَضيتَ بغير ما خَلَفَ هوى

بيتُ له التبجيلُ والتكريمُ

يا قيسُ سرِّحها ودونك غيرها

هيهاتَ تصلحُ للرجال عقيمُ

[ تبار من الجميع ضجة استنكار وتبرم وتنشج لبي بالبكاء ]

لبي : ياربُّ هذا ما قضيتَ فليس لي

في العقمِ من ذنبٍ وأنتَ عليمُ

زعموا قضاءكَ تُهمةً فتألبوا

هذي تُعيرُني وذاك يلومُ

ياربُّ تعلمُ أننى صانعتهمُ

والقلبُ منهم مُشخَنٌ<sup>(٢)</sup> مكلومُ

(١) البرزخ : هنا هو الحاجز ما بين الدنيا والآخرة .

(٢) المشخن : المحروح أشد الجراح .

وبغوا فلما قلتُ يا نفسِ اصبري  
غضبَ الظلومِ وعُتِبَ المظلومُ

يا قيسُ فافعلْ ما أمرتَ واخلني  
فالعيشُ في هذا الشقاقِ جحيمُ

قيس : لا والذي أجرى غرامك في دمي  
إنني إذا نزرُ الوفاء لثيمُ

قالوا : عقيمٌ . قلتُ : من؟ هي أم أنا؟  
لا الطبُّ يدره ولا التنجيمُ

إن تُنجي فأنَّا لعهدك حافظُ  
أو لا فحبك قاهرُ ومقيمُ

ذريح [في غضب] : يا قيسُ هل هذا جوابك نبي  
قيس : أبتاه كن عوني فأنت رحيمُ

مرني أطعك فما عصيتك مرةً  
أبتاه لكن ما طلبتَ عظيمُ

ما كَانَ قَلْبُكَ صَخْرَةً فَتَسْوِمُنِي

هَذَا الْعَذَابَ وَإِنَّهُ لَأَلِيمٌ  
[يشتهد بكاءً لبني ويعلمو]

فيس [في حنوت بعد] تَبْكِينَ يَا لَبْنِي؟! عَهْدَتُكَ حَرَّةٌ

تَلْقَى الْأَذَاةَ وَغِيظَهَا مَكْظُومٌ  
قَوِي لِعُثُّكَ فَاْمَلَيْتَهُ نَضْرَةً

كَالرَّوِضِ بِأَكْرَهُ نَدَى وَنَسِيمٍ  
فَإِذَا حَلَّتْ بِهِ رَوَيْتُ هِنَاءَةً

وَإِذَا هَجَرْتِ فَإِنِّي الْمَحْرُومُ  
مَا عَشْتُ إِلَّا فِي هَوَاكِ وَإِنَّهُ

لَهَوِيٌّ تَغْلَغَلَ فِي الضَّلُوعِ قَدِيمٌ  
لِي مِنْ حَنُوكِ رَحْمَةٌ تَتْرَى ، بَلِي

مِنْ فَيْضِ عَطْفِكَ نَضْرَةً وَنَعِيمٌ  
[تخرج لبني متعاملة ومعها عزة ومطيع]

ذريح : إِنِّي أَرَاكَ رَكِبْتَ رَأْسَكَ جَامِحاً  
[في شيء من إني المصانعة والهدوء]

وَحَزَمْتَ أَمْرَكَ ضِلَّةً وَسِفَاهَا (١)

(١) السفاه : خفة في العقل .

إِنْ كُنْتَ قَيْسُ تَعَفُّ عَنْ تَسْرِيحِهَا  
فاجمع لها أخرى وضم سواها

لَسْنَا لِلْبَنِي كَارِهِينَ وَإِنَّمَا  
نَبْغِي صِلَاحَ أُمُورِنَا وَهَدَايَا

أم قيس : لا بل تُسرحُها فما من خُطة  
يا قيس غير طلاقها نرضاها

أَبَوَاكَ قَدْ كَبِّرَا فَلَا تُرْهِقُهُمَا  
عَنَّا ، وَأَرْضِيهِمَا فَتَرْضَى اللَّهُ

قيس : هل تذكرين الله ؟ .. إِنَّ اللَّهَ لَمْ  
يَأْمُرْ بِأَنْ تَرِدَ النُّفُوسَ رَدَاها

لم يشرع الله الطلاق لغاية  
حمقاء رَوَّاهَا الهوى وغذاها

الله قد شرع الطلاق تحرزاً  
من بغضة وشقاوة ياباها

أبوىَّ حسبكما فليست بفاعل  
ولكن فعلتُ فإنني أشقاهما

ذريح : يا قيس ! لو نَحَيْتَ وجدك جانباً  
لعلتُ أنى الناصح المتبصرُ

بالله يا ولدي بعيشك بالذي  
أبديه من حذبٍ عليك وأضمرُ

بمجةٍ مكنونةٍ لك في دى  
كادتُ تسيلُ من الحنانِ وتقطُرُ

بمئى عقدتُ عليك من عهد الصبا  
ما زلتُ تكبُرُ كاللهلالِ فتكبُرُ

ما جئتُ عُشكَ هادماً مُتجنياً  
الأمْرُ يابنَ دى أجلُّ وأخطرُ

البيت يأمُلُ منك نسلأ صالحاً  
نمضى فيخلفنا عليه فيعمُرُ

ويذود عن أحسابه ونصابه<sup>(١)</sup>  
ويقلد المنن الكرام ويؤثر  
قيس : أبتاه ! ليس النسل طوع مشيئة  
للناس ، بل هو قد علمت مقدر  
هبتى بنيت بأربع فبأربع  
الرزق في لوح السماء مسطر  
ما كان في مطوي سابق علمه  
تتغير الدنيا ولا يتغير  
أم قيس : يا قيس ! حاول وأرج ، رب محاول  
يسعى لطلبه العصى فيظفر  
ليس التشاؤم في الحياة ذريعة  
لبلوغ ما تهوى النفوس وتؤثر  
[ يذنو أشجع وعامر من قيس ]  
ذريح : يا قيس ! لا تسمع لفتيان الحمى  
قد حرصوك على الضلال وغرروا

(١) النصاب : الشرف والسؤدد .

إِنْ شِئْتَ فَاسْتَفْتِ الْقَبِيلَةَ تُلْفِهِمْ  
 نَفِضُوا لَكَ الْحَقَّ الصُّرَاحَ وَأَظْهِرُوا  
 أَشْيَاحُهَا يَا قَيْسُ إِمَّا عَاتَبُ  
 أَمْ قَيْسٍ : أَوْ لَانِمُ أَوْ مُنْكَسِرُ مَتَلَمَّرُ  
 ذَرِيحُ : النَّاسُ تُكْوِي يَا بَنِي تَدَاوِيأُ  
 وَلرَبُّ مَكْوِيٌ بِصَحُّ فَيْشِكُرُ  
 فَاجْرَعُ دَوَاءَكَ رَاشِدًا مُتَوَكِّلًا  
 فَالرَّشِدُ أَوْلَى بِالْكَرَامِ وَأَجْدَرُ  
 قَيْسٍ : أَبْتَاهُ ! تَدْعُونِي لِرَشْدِي ظَالِمٍ  
 وَالرَّشْدُ عِنْدِي رَحْمَةٌ تَنْفَجِرُ  
 وَمَحَبَّةٌ يَسْقِي الْوَفَاءَ أُصُولَهَا  
 بِدَمِ الْفَوَادِ ، وَذِمَّةٌ لَا تَحْفَرُ  
 هَبْنِي أَنْتَيْتَكَ بِالْبَنِينَ خَلَائِفًا  
 كَمْ وَارثِي فَضْلِي بَعْرًا وَتَجَبَّرُوا

خَلَفُوا عَلَى شَرَفِ الْأَصُولِ فَضِيعُوا  
وَتَسَلَّمُوا مَجْدَ الْقُرُونِ فَدَمَّرُوا !  
أَبْتَاهُ ! قَلتَ : الْعَقْلُ يَحْكُمُ بَيْنَنَا  
الْعَقْلُ يَا بِي وَالْمُرُوءَةُ تُنْكِرُ  
ذريح [في هياج شديد] أبشِرْ إِذَا بِفَضِيحَةٍ مَلَأَ الدُّنَا  
يَفْنَى الزَّمَانَ وَعَارُهَا يَتَجَدَّدُ  
لَنْ تَحْتَوِينَا أَرْبَعُ وَمَنَازِلُ  
بَاتتْ تَضُمُّكُمْو فَقَرُّوا وَاسْعَدُوا  
أَمْ قَيْسَ : فَإِذَا أَظَلَّكُمْو النِّعَمُ بِوَارِفٍ . . .  
فَيْنَانَ ظَلَّلْنَا الشَّقَاءَ الْأَنْكَدُ (١)  
وَإِذَا غَفَوْتُمْ بَيْنَ أَحْضَانِ الْهَوَى  
بِتَنَا وَنَحْنُ الْوَاصِبُونَ (٢) الشُّهْدُ  
ذريح : سَنظَلُّ نَنْتَعِلُ الرَّمَالَ عَلَى الطَّوَى  
عَانِينَ نُنْتَهُمُ فِي الْبِلَادِ وَنُنَجِدُ  
[يظهر الإعياء على قيس فيستند إلى أصدقائه]

(١) الأنكد : الشوم والمسر . (٢) القلقون .

[مستمراً] نَرُدُّ القَبَائِلَ والقُرَى<sup>(١)</sup> نَشْكُوها

أم قيس : وبكلّ ذى أكرومة نستنجدُ

ذريح : يا قيسُ أنت أثمرتها ناراً على أهليك لا تهذا ولا هي تخمدُ

يا قيس عدّ للعقلِ

أم قيس : وارحم ضعفنا

ذريح : فإذا أبيتَ فإن موعدنا غدُ

[يتها ذريح وزوجته وعاتكة للخروج]

قيس : أبى ! تَريثُ

ذريح : بل تَريثُ أنتا

زويتَ طيشاً ونضحتَ أمّتا<sup>(٢)</sup>

وكان عارَ الدهر ما أبرمتا

قيس : أمّاه !

أم قيس : لستُ أمّ من أراه . . .  
[في بكاء وثورة]

حطّمُ شيخاً لم يلدُ سواه

(١) القرية : البلد الكبير . والمراد هنا أهل القرى .

(٢) الأمّ : العوج .

وَحَقَّرَ التُّدَى الَّذِي غَدَّاهُ

[بمخربون ويشتهد إعياء قيس]

قَدْ كَانَ وَاللَّهِ بِخَيْرِ حَالٍ

: العراف

فَظَلَّ فِي مُضْنٍ مِنَ النُّضَالِ

حَتَّى عَدَّتْهُ نَضْرَةٌ الْإِبْلَالِ

رَأَيْكَ فَابْذُلْ أَيُّهَا الطَّبِيبُ

: قيس  
[العراف]

قَدْ زَلْزَلْتَ أَلْبَابَنَا الْخَطُوبُ

إِنْ الْمَصَابَ قَلَّمَا يُصِيبُ

أَمْرَانِ كَالْهَلَاكِ وَالشُّبُورِ

: العراف

قَدْ عَظَّمَ الرَّزْمُ عَنِ التَّدْبِيرِ

وَأَشْكَلَ الرَّأْيُ عَلَى الْمَشِيرِ

اللَّهُ فِي نَعِيمِ الْمُنْهَالِ

: قيس

يَا قَيْسُ لُدِّ بَجَلْدِ الرِّجَالِ

: عامر

وَقُمْ فَسَلِّ رَبِّكَ ذَا الْجَلَالِ

يَعْصِمُكَ مِنْ مَزَاقِ الْجُهَّالِ

وَيَهْدِيكَ السَّبِيلَ لِلْكَمَالِ

أَيْنَ الْكَمَالِ أَهْلٌ مِنَ الْكَمَالِ  
 تَرَكِي أُمِّي وَأَبِي وَأَلِي  
 بَيْنَ يَدِ التَّشْرِيبِ وَالْإِذْلَالِ  
 وَهَزُؤًا لَشَامِتٍ وَقَالَ  
 ذَلِكَ جَرَحٌ غَيْرُ ذِي انْدِمَالِ  
 إِنَّ ذَهَبَ لُبِّي فَأَصْلُ مَالِي (١)  
 وَمَعْقِدُ الرَّجَاءِ وَالْأَمَالِ  
 وَكَعْبَةُ الْأَحْلَامِ وَالْخِيَالِ  
 وَإِنَّهُ لَأَبْعَدُ الْمُحَالِ  
 مَا زَالَتِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي  
 تَصْبِحُنِي بِالْيَمْنِ وَالْإِقْبَالِ  
 حَتَّى رَمَتْنِي الْيَوْمَ بِالْأَهْوَالِ  
 كَأَنَّهَا بِيَوَازِخُ الْجِبَالِ  
 [ يَجْلِسُ مُتَضَمِّعًا وَيَقْنَى عَلَيْهِ ]

[مستمراً في يأس]

(١) أصل المال : رأس المال .

- أشجع : ماذا دهأه ؟
- العراف : غشية تمر
- عامر : هل من علاج ؟
- العراف : العلاج مر [في خطورة]
- قد يدفعُ الشرَّ الغداةَ الشرُّ  
الداءُ طاغٍ والدواءُ البترُ  
البترُ ؟ ! أيُّ البترِ يا رفاقِ
- قيس : [وقد أفانق في إعياء]
- عامر : لعلهُ يَكْنِي عن الفسراقِ  
[في احترام وحيرة]
- أشجع : بل قلْ ولا تَوَجَلْ : عن الطلاقِ  
قيس : وبلُّ الشجى من خلى سألِ
- ما لي تَعَثَّانِي الخَبَالُ ما لي  
أشعرُ بالإعياءِ والكلالِ  
وبالردى يَدِبُّ في أوصالي  
تداركوني وقفوا أحسالى<sup>(١)</sup>

(١) أي : قفوا حولي .

قد فَدَحَ الخطبُ عن احتمالي  
لا تذكروا لي أبغضَ الحلال (١)  
ستار

---

(١) أبغض الحلال عند الله الطلاق « حديث شريف » .

## الفصل الثالث

### المنظر الأول

[صحراء فيها بعض النخيل وقد جلس في جوار النخيل راعيان أحدهما يفتى والآخر يعزف على الناي] [الوقت عند الغروب . يعزف على الناي عند رفع الستار بعض الوقت . ثم يبدأ المعنى : ]

المعنى : كَبَدُ غَيْرُ بَارِحٍ مَا أَلَاقِي مَا أُرَانِي أَطْبِقُهُ يَا رِفَاقِي  
ولقد هداني وزلزل لبي فراق من دنو يوم الفراق  
من رسول لها ببني ووجدى وحنيني ولوعتي واشتياقي  
من رسول لها بالحنان قلب حافظ العهد واله خفاق  
يتنزى<sup>(١)</sup> تحت الضلوع ويبكي بدم من صميمه مهراق  
كلما لجت الصبابة بالعشا قِ ضَجَّ المسكين بالأسواق

[يبدي قيس مهاكاً ويكون قد ظهر على المسرح منذ خطوات ]

[يقف منصتاً إلى الشادي في شيء من الذهول ]

قيس : مَنْ ذَا أَرَى ؟

صاحب الناي : راعيان

قيس : اللَّهُ مَا تُنْشِدَانِ ؟

(١) يتنزى : يتحرك في أم .

أَتَبْكِيانِ حَبِيباً ؟ لَشَدَّ مَا هِجْتُمَانِي

المنى : لا بل أَغْنَى وَتَرَبَّى لِحَنَ الْأَسَى وَالْغُرُوبِ

أَمَا تَرَى الشَّمْسَ تَهْوِي مُضْفَرَةً لِلْمَغِيبِ

وَالكُونُ يُرْجَى إِلَيْهَا نَفْثَةَ الْمَنكُوبِ

نَفْثَةٌ مِنْ حَبِيبِ يَهْدِي بِفَقْدِ حَبِيبِ

فيس [في صوت تهديج] يَا صَاحِبِي أَبْكِيَانِي بَلْ رَجَعَا وَأَبْكِيَانِي

هَذَا الَّذِي تُنْشِدَانِ مِنْ أَدْمَعِي وَيَبْكِيَانِي

النَّايُ لَا شَكَّ نَائِي وَاللَّحْنُ مِنْ أَلْحَانِي

المنى [لصاحبه] : رُوحٌ عَلَيْهِ بِلَحْنٍ يُرِقُّ عَصِيَّ دَمُوعَةٍ

أَرَاهُ أَوْشَكَ يَفْتَنِي فِي شَجْوِهِ وَوُلُوعَةٍ

[صاحب الناي يمزق على الناي نفماً حزيناً]

فيس : يَا صَاحِبَ النَّايِ مَاذَا هِجْتِ فِي كَبْدِي

مَنْ لَاعَجٍ يَتْرَانِي فِي حَنَائِيهَا

هَلْ كَانَ نَائِكَ يَدْرِي مَا أَكَابِدُهُ

مَنْ لُوعَةٍ فَرَّوَاهَا ثُمَّ غَنَّاهَا

كُنَّا عَلَى زُفُوفِ الدُّنْيَا وَأَيْكَتِهَا  
تُظَلُّنَا نَشْوَةَ الدُّنْيَا وَنُعْمَاهَا  
وَالدَّارُ حَالِيَةُ الْأَعْطَافِ جَامِعَةٌ  
تَشَعُّ فِيهَا السَّنَى وَالسَّعْدَ لُبْنَاهَا  
أَيَامُهَا تَجْمَعُ الْأَمَالَ مُشْرِقَةً  
وَتَحْمِلُ الرَّفَةَ مُخْضَلًا عَشَايَاهَا  
حَتَّى انْتَبَهْنَا عَلَى نَكْبَاءِ مَا تَرَكْتُ  
مَنْ فَرَحَةِ الْعَمْرِ الْإِخْرَ ذِكْرَاهَا  
[ ثُمَّ يَسْتَطِرِدُ فِي شَيْءٍ مِنَ الذُّهُولِ ]

يَا مُنِيَّةَ النَّفْسِ مَا نَفْسِي بِنَاجِيَةٍ  
وَالنَّارُ فِي جَنَابِ الصَّدْرِ تَغْشَاهَا  
تَبَيْتُ تَوَدُّعُ سَمْعِ اللَّيْلِ عَاطِفَةٌ  
مُشْبِوَةٌ وَتَبْتُ اللَّيْلَ نَجْوَاهَا  
رَدَى عَلَيَّ لَيْسَالِي الَّتِي سَلَفَتْ  
لِلَّهِ مَا كَانَ أَغْلَاهَا وَأَحْلَاهَا

المفنى : من ذا تكونُ أجبنا؟

صاحب الناي : أجبْ ولا تُخَفِ شيئاً

قيس : أنا ضحيَّةُ نفسى جهلاً وحُمقاً وغياً

نعمِ عيشى وعشَى هدمته بيدياً

[يُخرج قيس متعاملاً على نفسه]

صاحب الناي : يا ويحَه من شقى<sup>١</sup> ومن طليح<sup>(١)</sup> مُعنى

إن لم يَخْنَى حَدسى فإنه «قيسُ لُبنى»

## المنظر الثاني

[فى حى بنى ليث بن بكر أيضاً. خيام لبني التي قضت فيها مدة

عدها بعد طلاقها. جلبة وضجة مما تصحب عادة الاستعداد للسفر]

[طارق .. أشجع .. عامر .. مالك ..]

## الشهد الأول

طارق : أبني كنانةَ مارعتِم صِهْرنا<sup>(٢)</sup> بل كنتمو حرباً عليه عوانا

ما كان قومي الراغبين وإنما أمرَ الحسينُ فأذعنوا إذعانا

(١) الطليح : المهزول المتعب . (٢) الصهر : النسب والمصاهرة .

من أجله خرجوا على مأثورهم  
 ما كان أنصفكم لنا فرددتو  
 أشجع : هو ما تقولُ فلا تزدُ آلامنا  
 ورَضُوكم الأصهارَ والخلصانا  
 في جفوةٍ إحساننا كُفْرانا  
 أَلماً ولا أشجاننا أشجانا  
 قَدْرُ جرى ما إن له من دافع  
 وهورى الغداةَ بأنسِ بيتِنا عم  
 لبني ! رعاك اللهُ من مظلومةٍ  
 ماك : لم تنهموها لبني فهانتُ عندكم  
 سرحتموها مُعتدين وما اعتدت  
 عامر : إن تَرْتَجِلْ لبني فليس براحلٍ  
 أو نَنَسَ لانسى عوارفَ حُرّةٍ  
 من قاصراتِ الطرفِ<sup>(١)</sup> زينَ فضلها  
 ورَضُوكم الأصهارَ والخلصانا  
 في جفوةٍ إحساننا كُفْرانا  
 أَلماً ولا أشجاننا أشجانا  
 حَطَمَ القلوبَ وفرقَ الإخوانا  
 فكأن مُشرقَ أنسِه ما كانا  
 ما كنت إلا رحمةً وحنانا  
 ولطالما جهلَ النصارُ فهانا  
 وكسوتموها ذِلَّةً وهوانا  
 ذكرُ كَأَفْوافِ الرُّبَا ألوانا  
 كانت نعمَ ربوعنا وحنانا  
 خُلُقُ كآزاد<sup>(٢)</sup> الضمحي لمعانا

(١) قاصرة الطرف : من قصرت نظرها وقلبا على زوجها .

(٢) جمع رأد الضمحي : وهو ارتفاعه .

## المشهد الثاني

[ يظهر الحجاب قادماً من ناحية الخيام ]

الحجاب : آن وقت الرحيل يا قوم فامضوا  
 ودعوا الحي من بنى الليث ما ذ  
 لا يبيع الرجال إلا ذئب  
 أشجع : هذه يا حجاب كُبرى المآسى  
 منزل كان آمناً مطمئناً  
 تتراعى فيه لقيس ولبنى  
 مشت الحادثات فيه فلم تذ  
 إليه يا قيس أي بويس تذوقت  
 كهف نفسى عليك في ظلم الآف  
 الحجاب : وبيك ماذا تقول ماذا بقيس  
 أترأه يبيت يصطنع الوج  
 بيديه يلتقى بأبياته النا

فالمطايا مزومة<sup>(١)</sup> والعيس  
 رجل إلا وودنا مغروس  
 أو يرد المعروف إلا خسيس  
 ليس من دافع لها أو آس  
 ومقاماً للبشر والإيناس  
 كل يوم مواكب الأعراس  
 ركة إلا كالأربع الأدراس  
 وأي الخطوب بت تقاسى؟  
 مدار تهوى وفي طباقي الياس  
 أي بويس يلتقى وأي شقاء  
 د على فعلية له شنعاء  
 رويشكو. يا للكذوب المرأى

(١) وضعت لها الأزمة ، فهي معدة .

أشجع : يابن كعبٍ أراك تظلم قيساً إنه أجدرُ الورى بالرتاء  
يابن كعبٍ سل القبائل والأحـ ياء تُنثِّك أعجبَ الأنبا  
سامهُ الخسفَ فادحاً أبواهُ يا لظلمِ الآباءِ للأبنا  
نغصا عيشه الهني فأمسى يتردى في شقوةٍ وعناء  
ضربا في البلادِ يلتمسانِ العـ وَنَ عند السَّراةِ والكُبراءِ  
شفعا آلَ هاشمٍ وبنى حرـ بِ وآلَ الزُّبيرِ في الشفعا  
فتأبى قيسٌ، وقالَ: معاذَ اللهِ هذا ختلٌ وسوءُ جزاءِ  
أفتدرى ماذا جرى بعد هذا؟

عامر : مضحكاتٌ مُشيرةٌ للبكاءِ  
أقسما جاهدين أن يهجر الحى جميعاً ويخرجا للعرء  
وأقاما يُعرضانِ لحرِّ الشمسِ جسمينِ آذنا بالفناء  
ثم زادا فأوشكا يقتلانِ النفسَ جوعاً وأمعا في الهداءِ  
ورأى قيسٌ أن يهيبَ بالصبرِ سبيلا لدفعِ هذا البلاءِ  
لم يُقدِّرْ أن الكراهةَ والغيرةَ والحقدا ما لها من دواءِ  
أشجع : هكذا يا حبابُ حطمَ قيسٌ قلبه بين ضحوةٍ ومساء  
عامر : ورمى عشه السعيدَ بينينِ وشتاتٍ في ساعةٍ نكراءِ

## المشهد الثالث

[ يدخل مطيع ... ]

الحباب : [ وقد رأى مطيعاً ] مطيع ! ما وراءك يا مطيع ؟

مطيع :

ورأى البث والخطبُ الفظيع

تَحِيرُ في محاجرِهِ الدموع

بَثَبَتْ جَنَانِهِ البينُ المَرُوعُ

وَزَلْزَلَ قلبَهُ أَمَلٌ صريعُ

فقال : وهل تَرَأَى أَسْتَطِيعُ

جَرى بدمائه السَّمُ النقيعُ

وقد هَدِمَتْ على القلبِ الضلوعُ

على اسمِ اللَّهِ أَهْبَتَهَا الجموعُ

وأنباءٌ تُزخرفُ يا مُطِيعُ

وأخشى الصبرُ ينفُذُ أو يضيعُ

فهذا الحزمُ والرأى الجميعُ

ورأى مُسْتَطَارُ اللَّبِّ بأكِ

تَماسكُ ما تَماسكُ ثم أَلْوَى

أَصَاعُ رِشَادُهُ شَمَلُ مَضَاعُ

وقلتُ له : أتتد يا قيسُ واصبرُ

أَيصبرُ عن فَجِيعَتِهِ لَدِيعُ

معاذَ اللَّهِ ما صبرُ بِمُجْدِ

أما آنَ الرِّحِيلُ؟ فقد أتمت

فهل نَبِيٌّ لِنَسْمَعَ تُرَاهَاتِ

حَكَمْنَا غَرَبَ أَنْفُسِنَا طَوِيلًا

الحباب : صدقتَ ولم تَقُلْ إلا صوابًا

مالك  
[ في تيرم ]

سلامٌ يا بني ليث بن بكرٍ فإنَّ الركبَ آنَ له الرجوعُ  
[يتأهبون للخروج في ضجة ظاهرة . وفي أثناء ذلك يسمع صوت قيس من خارج المسرح]

قيس : (يقولونُ لبني فتنةٌ كنتَ قبلها

بخيرٍ فلا تندمُ عليها وطلَّقِ)<sup>(١)</sup>

(فظاوعتُ أعدائي وعاصيتُ ناصحي

وأقررتُ عينَ الشامتِ المتملِّقِ)

(وددتُ وبيتِ اللهِ أنِّي عصيتُهُم

وحملتُ في رضوانها كلَّ موثقٍ )

مالك  
[الحباب في غضب] أيغشي حمي لبني ويرتادُ ربعاها

إذا هو في مُردٍ من الغيِّ مُوبقٍ

أيحسبُنَا في أرضهم لا ندوُدُهُم

إذا طالعونا بالهوانِ ونتقي

فقولاً له يرجعُ ويُمسكُ دموعهُ

لقد نَضَصَ<sup>(٢)</sup> الأخلاقُ زَيْفَ التخلُّقِ

[يدخل قيس ساهماً مندفعاً فيلتفت له الجميع في دهشة وقلق]

(١) هذه الأبيات الثلاثة التي بين الأقواس من شعر قيس بن ذريح .

(٢) كشفت .

فيس : أطوفُ على أبياتِ لُبني تدعني (١)  
[مستمراً كأنه لا يرى شيئاً] إليها لُباناتُ الفؤادِ المُمزقِ

أعللُ نفسي باللقاءِ فما أرى ..

سوى الندمِ اليقظانِ باليأسِ يلتقى

ملاعبُ من لُبني إذا ما لمحتها

تهالكتُ في طاغٍ من الوجدِ مُطبقِ

تذكّرني أفناؤها وعراضها

بمبتسمٍ طَلّتي من العيشِ مونتِ

فما طعمت عيناى من بعدها الكرى

ومن يذُقِ الأمرَ الذى ذقتُ يأرقِ

ويا دارها بيني وبينكِ خطوةٌ

أراكِ ولكن كالسرابِ المُلَفّي

فديتُك من عُشِّ رى الدهرِ طَيْرُهُ

بسهمينِ من بثٍّ وبينِ مفرّقِ

(١) تدع : تدفع في شدة .

أماني من لبني وما تنفعُ المنى  
 إذا عَرَّضَ المقدارُ دونَ التحقُّقِ  
 كأنِّي بآمالِي الغداةَ مُغْرَبٌ  
 أَصَوَّبُ فِي أعقابِ ركبٍ مُشْرِقِ  
 جنيتُ على نفسي فيا قلبي احترقُ  
 ويا كبدي ذوبي ويا عيني اغرقِ  
 [عامر وأشجع يتجهان إلى قيس]

عامر : وثك يا قيسُ قد أتيتَ عظيماً      أيُّ جهلٍ وأيُّ خُرْقٍ أني بكِ  
 نحن ندرى يا قيسُ ما تتردى      فيه من مِحنةٍ ونقدُرُ ما بكِ  
 غيرَ أنا نرى مجيئك يا قي      سٌ مُشيراً ومُذكياً لعذابِكِ  
 راجع الصبرَ يا بنَ عمي وارجعُ      ليس كالصبرِ مُجدياً في مُصابِكِ  
 قيس : إيه يا عامرُ المرَجى أجبتني      وقل الحقُّ لا ترُغُ في جوابِكِ  
 كيف تحيا وكيف تَطعمُ صبراً      إن رماك الزمانُ في أحبابِكِ  
 وعدا الدهرُ كالعُقابِ فالأوى      في مدى ومضةٍ بحلمِ شبابِكِ  
 وتلفتتَ لم تجدْ خلةَ النفسِ      بسِ تُشعُّ الحياةَ في محرابِكِ  
 أشجع : قدك يا قيسُ أهلُ لبني غضابُ      دارِهِم لا تميضُهُم باقترابِكِ

هم علينا أعزة ، بيد أن ال  
حتى قد يُستثار من إغضابك  
لأنهجهما ياقيس شعواء وارجع  
إنما الرأي والنهي في إيابك  
قيس : إنما الرأي للذي يملك الرأي  
فدعني وعافني من عتابك

[يتقدم مطيع محاولاً معهما إقناع قيس في الرجوع]

[مالك ولطارق في ناحية أخرى يتحدثان في حدة وتبدر منهما إشارات  
فيها توعد وبجاهرة بالعداوة . يظهر الجباب في صورة من يحاول ضبط نفسه]

مطيع : قيس عدُّ الأمانة قد نَفَذَ المَقْدُورُ لا دافع له أو واقٍ

وتماسك إن التماسك الأحداث من شبيمة الأصول العتاق

قيس : كَبِدٌ غيرُ بارحٍ ما ألقى ما أراني أطيعه يا رفاق

ضِقتُ ذرعاً مهجة تتداعي وجراح بعيدة الأعماق

وجفونٍ موطناتٍ على السُّهْدِ ودمعٍ كالوايل الغيداق<sup>(١)</sup>

ولهيبٍ بين الترائبِ والصُّلبِ له لَفْحَةٌ وعندَ التراقي

وتباريحٍ ذكرياتٍ مواضٍ نَبَّهتُهُنَّ ذكرياتٍ بواقٍ

مالك [لطارق في استهزاء] أقبعدَ الطلاقِ يبكي ! لقد كانَ جليدَ الفؤادِ قبلَ الطلاقِ

ليس هذا دَمَعُ الندامةِ يا قيس

قيس : ولقد هدني وزلزلَ لُبِّي

سُـسْ ولكنَّها دموعُ النفاقِ  
فَرَّقُ من دنوِّ يومِ الفراقِ  
[مستراً دون أن يلقى بالا إلى مالك]

(١) الغيداق : الكثير الماء والانهيار .

مَنْ رَسُولٍ لَهَا بَبْشَى وَوَجْدَى      وَحِشْبَى وَلَوْعَى وَاشْتِيَاى ؟  
 مِنْ رَسُولٍ لَهَا بِالْحَانَ قَلْبَ      حَافِظِ الْعَهْدِ وَالهِ خَفَّاقِ ؟  
 يَتَنَزَّى تَحْتَ الضُّلُوعِ وَيَبْكِي      بَدَمٍ مِنْ صَمِيمِهِ مُهْرَاقِ  
 كَلَّمَا لَجَّتِ الصَّبَابَةُ بِالْعَشَّاقِ      ضَحَّ الْمَسْكِينُ بِالْأَشْوَاقِ

[ يتخلص قيس من بنى عمه ومن مطيع ثم يتجه نحو الخيام  
 في خطوات مضطربة .. طارق ومالك يقفان في طريقه ]

طارق : ألا تنتهى يا قيس ؟

مالك : ما أنت صانع ؟

طارق : فهذى بيوت حُرِّمَتْ ومراتعُ

سيرحلُ عنها الساكنوها وفي غد

سَتُصْبِحُ      وهى الْمُقْفَرَاتُ الْبِلَاقِعُ

قيس : حنانيك ماذا قلت يا طارقُ اتشدُّ

أَتَزْمَعُ لُبْنَى الْبَيْنِ ؟

طارق : فالبينُ واقعُ

مستسكنُ غَضْبَى ما يَقْرُرُ قَرَارُهَا

ويرتاحُ ذُو حَقْدٍ وَيَهْدَأُ نَازِعُ<sup>(١)</sup>

(١) الإشارة هنا لأبوى قيس .

أبي الله إلا أن تبت وشائج<sup>(١)</sup>

وليس لما يقضى به الله دافع

قيس [الحجاب في ضراعة] أحقُّ أبا لبني لبين تهيئوا...

فذلك فداح من الخطب فاجع

وإني ولبني إن ترامت بها النوى

لكالعين أسمى نورها وهو ضائع

أأملاً منها ناظري فربما

تخفف محزون وأقصر جازع

مالك [في حدة] : أملاً منها ناظريك ! فدونها

أخو غمرات للحفيظة مانع

كمي إذا ما استل سيفاً تسابقت

إليه القنا والمرهفات القواطع

بأيدي مطاعين<sup>(٢)</sup> لهم حيث قارعوا

مقاتل في أعدائهم ومصارع ...

[يستل سيفه ويتبأ للقتال ، وكذلك يفعل أشجع وطارق وعامر . يقف أشجع وعامر إلى جانب قيس . الحجاب ومطيع يحاولان منع بعض الفريقين عن بعض ، وقيس واجم كأنه لا يمي]

(١) جمع وشيجة ، وهي : الملاقة . (٢) المطاعين : الأشداء في الطعن .

مالك : بَغَيْتَ وَلَمْ تُنْصِفْ فَمَا أَنْتَ غَاضِبٌ  
لِلْبَنِي

عامر : وَلَكِنْ أَنْتَ لِلْحَقِّدِ خَاضِعٌ

أشجع : رَأَيْنَاكَ مَذْأَقِبَلَتَ تُبْدِي عِدَاوَةً ..

لَنَا ، وَتَهَيَّجُ الشَّرَّ وَالشَّرُّ هَاجِعٌ

عامر : تَرِيثُ وَرَدَّ السِّيفَ لِلْغَمْدِ وَالتَّمَسَّ

لِنَفْسِكَ مَنجَاةً وَخَذَكَ ضَارِعٌ<sup>(١)</sup>

مالك : سَتَشْهَدُهَا لَيْثُ بْنُ بَكْرِ كَرِيهَةً

يُبَاكِرُهُمْ فِيهَا الرَّدَى وَيَطَالِعُ

سَأْغَمُدُ سِنِي فِي صَدُورٍ وَأَقْلِبُ<sup>(٢)</sup>

وَحُرَّ رُؤُوسٍ فَانْكَصُوا أَوْ فِدَافِعُوا

[ يحاول الفريقان المجرم بعضهم على بعض . تزداد الضجة وتقعقة السلاح . . ]

مالك : بَعْاهَةٌ ...

عامر : لَكَ الْوَيْلَاتُ ...

(١) وخذك ضارع ، أى : ذليل .

(٢) جمع قلب .

الهاباب : كَفُّوا بَنِي أَخِي

أشجع : فَذَرْنَا لَقَدْ ذُلُّ الْحَلِيمِ الْمُصَانِعُ

[ تخرج لبني من خباياها بادية الاضطراب .. يضطرب قيس ويعتمد على مطيع ]

لبني : بَنِي الْعَمِّ . عودوا للأناة ، وأرجعوا

لأغمادها هذى السيوفَ وراجعوا

مالك : دَعِينَا نَقُومُ بِالْمَوَاضِي أَعُوْجَاجِهِمْ

فما أدببت إلا المواضي اللوامعُ

لبني : وَيَا مَالِكَ اسْتَمْسِكْ بِحِلْمٍ وَنُهَيْتِ<sup>(١)</sup>

فإنك ما تدري الذي أنتَ صانعُ

أَتَشْعَلُهَا شِعْرَاءَ نَضَلَى أَمِيهَا

وتمشى المنايا خلفها والقوارعُ

أَنزَرْنَا إِخْوَانًا وَنَرَى صَحَابَةَ

أما من قديمِ الصَّهْرِ يَا قَوْمُ شَافِعُ

أَفِيثُوا فَإِنْ كَانَتْ قَدْ انشَقَّتْ الْعَصَا<sup>(٢)</sup>

فما العهدُ مَنْسَى وَلَا الْوُدُّ ضَائِعُ

---

(١) النبية : العقل ، والجمع : نهي . (٢) وقع الخلاف والتفرق .

قيس : ألبنایَ مرأى العينِ ؟ أم أنا ذاهلٌ  
 فلا أنا رائيها ولا أنا سامعُ  
 وإلا تكن لُبني فما لي . مُرُوعاً  
 كما ضلُّ حادٍ ناحتَه " الزعازعُ  
 وما بالُ قلبي قد تضععَ ركنهُ  
 كما انهار مرئُ الجناحين واقعُ

الحياب : تجلذُ فقد جاوزتَ في بثك الملدی  
 [ لقيس وشي ] أما لك من ماثورِ فضلك وازعُ ؟ ...  
 من الإشفاق ]

أتبكي على أشياء أنت اجترحتها ؟  
 فما خلقت للكابرين المدامعُ  
 [ يتطامن الفريقان ويتهيا الحياب ون معه للخروج ]

لبنى : عليك سلامُ الله أرضَ كنانةٍ  
 وداعاً فهل تُرعى لديك الودائعُ  
 نسيمك ريحانٌ وتربك عنبرُ  
 وزرُعك ألوانٌ وماوكِ ناقعُ

( ١ ) هبت من جميع التواحي .

وصَبْحُكَ لِأَلَاءِ الْمَفَاتِينِ سَاطِعٌ  
 وَلِيْلِكَ مَوْشِيُ الْجَوَانِبِ رَاتِعٌ  
 وَيَا عَامِرُ الْغَالِي ، وَيَا أَشْجَعُ اسْلَمَا  
 هُوَ الْقَدَرُ الطَّاعِي ، فَمَنْ ذَا يَدَافِعُ ؟  
 فَقَوْلَا لَهُ يَخْضَعُ لِمَا هُوَ كَاتِنٌ  
 فَمَا حَسْرَةٌ تُجْدَى وَلَا الْبَيْتُ نَافِعٌ  
 وَهِيَهَاتَ مَا مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ عَائِدٌ  
 وَلَا الْأُمُوسِيَّاتُ الْحَالِيَّاتُ رَوَاجِعُ

[ تخرج لبي باكية وأهلها من ورائها فيحاول قيس أن يتبعها فيقف في طريقه عامر وأشجع ]

عامر : أَخِي قَيْسُ ! هَذَا مَا قَضَى اللَّهُ فِيكُمَا  
 وَإِنَّ قِضَاءَ اللَّهِ بِأَقْسَمٍ وَأَقْعُ  
 تَحْمَلُ وَلَا تَهْلِكُ أَسَى رُبَّ آيِسٍ  
 تَدَارَكُهُ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَاسِعٌ

قيس : ( وَيَا قَلْبُ خَبَّرْنِي إِذَا شَطَّتِ النَّوَى  
 [ ذاعلا ]

بَلْبُنِي وَزَالَتْ عَنْكَ مَا أَنْتَ صَانِعٌ <sup>(١)</sup>

(١) هذه الأبيات الأربعة التي بين الأقواس من مشهور شعر قيس بن ذريح .

(أَقْضَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمَعَى  
وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعٌ)  
(نَهَارِي نَهَارٌ النَّاسُ حَتَّى إِذَا دَجَا  
لِيَ اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضْجَعُ)  
عامر : (فَلَا تَبْكِينَ فِي إِثْرِ شَيْءٍ نَدَامَةٌ

إِذَا نَزَعْتَهُ مِنْ يَدَيْكَ النَّوَازِعُ)  
الحجاب :  
[ من خارج  
المسرح ]  
الرَّكْبُ لِلرَّوَّاحِ مُسْتَعَدُّ  
يَا حَادِي الرَّكْبِ فَحِثُّ وَاحِدٌ  
قَدْ آنَ لِلْمُفَارِقِينَ الْعَوْدُ

[ يسم صوت الحادي وهو يمدد لركب لبي عند ارتحاله ]

الحادي : (أَمْزَعَةٌ لَيْلِي يَبِينُ وَلَمْ تَمُتْ  
كَأَنَّكَ عَمَّا قَدْ أَظْلَكَ غَافِلٌ)<sup>(١)</sup>  
سَتَعْلَمُ إِنْ شَطَّتْ بِهِمْ غَرِبَةُ النُّوَى  
وَزَالُوا بَلِيلِي أَنْ قَلْبِكَ زَائِلٌ

قيس : [ صَارِحًا وَقَدْ لَاحَ لَهُ الرَّكْبُ وَهُوَ قَافِلٌ ]

(١) هذان البيتان من شعر المهجون .

لُبْنِي . أَزَالُوا بَلْبِي ؟ ما العيشُ من غيرِ لُبْنِي ؟

[بهرى إلى الأرض متخاذلاً]

أشجع : أترى ما به ؟  
[لعامر]

عامر : أكادُ أراها لَوْنَةً خالطتهُ تَفديهِ نفسى

أشجع : يا أخى قيسُ !

قيس : أين قيسُ الذى تدعوهُ قد زالتِ الليالى بقيس

كنتُ فى ناعمٍ من الدهرُ أضحي وعلى مُونتي من العيشِ أمسى

بين وشى الهوى وفى حُللِ الرِّفهِ ولُبْنِي راحى وروحي وأنسى

أين روضى الذى سقيتُ بدمعى أين ظَلَى الذى مددتُ وغرسي

أين عشُّ قضيتُ فيه ولُبْنِي سنواتٍ مرّتْ كليلَةٍ عُرسِ

زالَ عنه هزَّارُهُ وجفاه فتداعى ما بين يومٍ وأميس

يا أخى أشجعُ الكريمُ ويا عامرُ قد طمّتْ<sup>(١)</sup> الرزينةُ كَأبى

عللانى بالموتِ يعصفُ بالمشبوبِ من لوعتى ويحسمُ بأبى

ذلكَ العالمُ الفسيحُ المُدوى عادَ فى ناظرى موجَّسٍ رمسِ

ما رمانى رامٍ فأقتصَّ منه أنا نفسى الذى عصفتُ بنفسي

ستار

(١) طمت : ملأت .

## الفصل الرابع

[ديار بنى كعب . مضارب خيام الحباب . فناء رجب أمام  
الخيام يجلس مالك في أقصاه ساهماً . . الوقت ليل ]

### المشهد الأول

[ مالك وحده . . ]

مالك : تَخَاذَلَ عَنْ صَبْرِهِ الصَّابِرُ وَأَمَعَنَ فِي جَوْرِهِ الْجَائِرُ  
فَوَادُّ يَهِيجُ بِأَحْنَانِهِ هَوَىٰ وَاصِبٌ وَجَوَىٰ نَائِرُ  
وَيَا قَلْبُ كَلَّفْتَنِي خُطَّةً هِيَ الذُّلُّ وَالزَّلَلُ الْعَائِرُ  
تَحَنُّ إِلَى ظَالِمٍ هَاجِرٍ وَمَا يَرْحَمُ الظَّالِمُ الْهَاجِرُ  
وَتُبْدَى التَّجَلُّدَ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَجُرْحُكَ مِنْ بَيْنِهَا الْعَائِرُ  
وَيَا عَيْنُ هَا كَيْدِي نَكْتَوِي فَهَلْ مُسْعِدٌ مَعَكَ الْغَائِرُ  
وَيَا شَوْقُ تَفْرِي حَنَائِبَ الضَّلُوعِ وَمَنْ شَفَّنِي حَبَهُ حَاضِرُ  
عَجِبْتُ يُشِيرُكَ صَدُّ الْمُلُوقِ وَهَتَاؤُكَ الْأَمَلُ الْعَاقِرُ (١)

(١) العاقر : العقيم .

ويانائماً في حواشي النعيم فُديتَ : أنا الموجعُ الساهرُ  
 حَسَمْتُ هَوَايَ وناهضتُهُ لَوَأْنِي على مُهَجَّتِي قَادِرُ  
 [ يدخل طارق ]

## المشهد الثاني

[ طارق .. مالك ... ]

طارق : أمالكُ هذا ؟  
 مالك : نعم طارقُ  
 طارق : [ مستهزئاً ]  
 أتمسى وتُضحى مُقبِماً هنا  
 كما كان يفعلُ أهلُ الهوى ؟  
 تُحَمِّلُهَا نَسِباتِ الصَّبَا  
 ليؤنِسَ وَحَشَتَهَا في الدُّجَى ؟  
 تحاياك في قُبَلَاتِ النَّدى  
 تَلدُّ الشُّكَاةُ ويحلو البُكا  
 ووهمٌ أذلُّ ضعافِ النَّهى  
 أراك تجاوزتَ أقصى المدى  
 أجثتَ تُحدِّثُ نُوَى<sup>(١)</sup> الديار  
 وتجمعُ شوقك في أنفٍ...  
 وتستعطفُ البدرَ في أفقه  
 وتضرعُ للفجرِ يُزجى لها  
 وتبكي وعندَ ديارِ الحبيبِ  
 ضلالٌ لعمرُ أبي كَله  
 مالك : أهزأ - طارق - بي هكذا

(١) الأحجار .

تَعِيبُ عَلَيَّ هَوَى شَفْنِي      فَجَرَعْنِي فِي الشَّبَابِ الْأَسَى  
وَأِنِّي لِأَعْلَمُ أَنِّي غَوَيْتُ<sup>(١)</sup>      وَلَسْتُ بِأَوَّلِ صَبِّ غَوَى  
فَمَا حِيلَةُ الْمَرْءِ فِي قَلْبِهِ      إِذَا الْقَلْبُ نَارٌ وَشَقَّ الْعَصَا

طارق : أَخِي قَدْ شَدَدَتْ عَلَيْكَ النُّكَيْرَ      وَكُنْتُ الْمُسِيءَ فَكُنْ مِنْ عَفَا  
رَأَيْتُكَ تَجْرِي وَرَاءَ الْمُحَالِ      وَتَطْلُبُ أَمْرًا مَدَاهُ السُّهَا  
وَتَعْرُضُ قَلْبَكَ عَرْضَ السَّمَاحِ      مُلِحًا بِلَا أَمَلٍ يُرْتَجَى  
نَصَحْتُكَ لَمْ أَبْغِرْ إِلَّا هُدَاكَ      فَهَلَّا سَلَكَتَ سَبِيلَ الْهُدَى ؟  
أَتَحْسَبُ لِبَنِي سَلْتِ قَيْسَهَا ؟      فَمَا زَادَهَا الْبَعْدُ إِلَّا جَوَى  
عَجِبْتُ لَهَا مَا وَهَى جِبْهَا      كَأَنَّ الطَّلَاقَ بِشِيرِ اللَّقَا

مالك : يُسْرِحُهَا ظَالِمًا بَاغِيًا      فِيَا وَيَحَهُ مِنْ عَتَلٍ<sup>(٢)</sup> بَغِي  
وَيَلْفِظُهَا الْوَعْدُ لَفْظَ النُّوَاةِ      وَيَنْقَعُ فِيهَا غَلِيلَ الْعَدَا  
وَتَجْزِيهِ حَبًّا عَلَى مَا جَنَى      تَعَسَّتْ وَهْنَتْ قُلُوبَ النَّسَا  
[يدخل الحجاب من ناحية الخيام ويقرب منها]

طارق : مَا لِهَذَا أَتَيْتُ ، قَدْ جِئْتُ يَا مَالِكُ أَدْعُوكَ لِلْمُهْمِّ الشَّدِيدِ

(١) غوى يغوى من باب ضرب وفرح . (٢) العتل : الفليظ الخاق .

خَلَّ ذَكَرَ الْغَرَامِ وَالْهَجْرِ وَاتْرَكَ نَزَوَاتِ الْهُوَى لِغَيْرِ بَعِيدٍ  
إِنْ قَيْسًا فاعْلَمْ سَيَقْتَحِمُ الْحَسَى وَيَغْشَى رِبْوَعَنَا مِنْ جَلِيدٍ  
لَمْ يَعُدْ مُهْتَدِرُ الدَّمَاءِ فَقَدْ أَوْ لَاهِ عَفْوَ الْأَمِيرِ مَسْعَى يَزِيدٍ<sup>(١)</sup>

الحياب : أيزيدٌ قد ضمَّ قيساً إليه ؟

مالك : ذاك ضمَّ العريبيد للعريبيد

طارق : جاء من يشربٍ بذاك رسولٌ بكتابٍ موجهٍ من سعيدٍ<sup>(٢)</sup>

مالك : فاجرٌ غَضَّ من سنا عبد شمسٍ وسنا الغرِّ من ولاةِ العهدِ

الحياب : من رسولٍ إلى معاويةَ المِسْمَاحِ ذِي الطُولِ وَالْقَنَا وَالْبِتُونِ

من رسولٍ إليه أَنَّ يَزِيدًا لَيْسَ أَوْلَى ذَوِيهِ بِالتَّسْوِيدِ

إِنْ بَيْنَ الْقُرُومِ مِنْ آلِ حَرْبٍ كُلِّ مَحْضِ عَفْ الْإِزَارِ رَشِيدِ

مالك : أفيرضى يزيدٌ أَنْ يَقْدِفَ الْبَيْدَ بدهياءٍ تَغْتَلِي فِي الْبَيْدِ

تَصْطَلِي نَارَهَا الْقَبَائِلُ مَا تَنْسُفُكَ بَيْنَ التَّقْتِيلِ وَالتَّشْرِيدِ

الحياب : كُنْتُ أَدْعُوكُمْو بَنِي لَصْبِرٍ رَجُنُوحٍ لِلْسَّلْمِ سَلْمِ الْأَسْوَدِ

كُنْتُ أَدْعُوكُمْو إِذَا صرَّحَ الشَّرُّ لِرَأْيِ قَطْنٍ وَحَزْمٍ وَثِيدِ<sup>(٣)</sup>

(١) يزيد بن معاوية . (٢) سعيد بن العاص والى المدينة .

(٣) الوئيد : الهادئ الرزين .

لم أَعْدُ اسْتَطِيعُ صَبْرًا وَهَذَا عَرَضْنَا يُبْتَلَى بِقَرْحٍ جَدِيدٍ  
يَا لَ كَعْبٍ إِلَى السِّلَاحِ فَمَا أَخَذَ  
سَبُّ كَعْبًا تَرْضَى حَيَاةَ الْعَبِيدِ

طارق : إلى السلاح . إلى السلاح  
[ أصوات من خارج المسرح تردد: إلى السلاح ]

مالك : إلى السلاح . شهروا السلاحاً<sup>(١)</sup>

لَا نَنْتَنِي أَوْ نُشَخِّنَ الْجِرَاحَا  
وَنُهْلِكَ الْمُجْتَرَى الْفَضَّاحَا  
[ يخرج الجميع مغضبين ]

### المشهد الثالث

[ تدخل لبنى قادمة من خيمتها ، وفي الوقت نفسه تدخل عزة قادمة من الخارج .. ]

عزة [ وهي مقبله ] هل سمعت اليوم يا لُبنى أحاديثَ المدينة

نبياً أزعجَ كعباً كلَّها هل تعلمينه؟

قيل قيسٌ قد عفا... عنه أميرُ المؤمنين

واجتباؤه ووقاهُ من طلابِ الطالبينا

(١) شهراً السلاح ، وشهروا : انتفضاه .

قال لا تُهدرُ في عهـ دى دماءُ النابغينا

لبنى : دعك من ذلك ولا . . . تلقى له بالأ وأذنا  
[متكلفة عدم المبالاة]

لستُ أعني شهيد الله بهذا ، لستُ أعني  
عزة [شاحكة]

ألا يعينك يا لبني حديثُ العفو عن قيس

حلفتُ بغرة الصبح وبالليل إذا بُمسي

وبالبيت العتيق سعتُ إليه مواكبُ العنس<sup>(١)</sup>

لأنت بما سمعناه لعمري أسعدُ الإنس

لبنى : أقسمت يا عز فأنتِ حانته

يا لك من غاوية وعابثه

لو صح ما قلت فتلك الكارثة

عزة : قد صح قول فخذيه أودعي

أتخدعين طبة<sup>(٢)</sup> أم تُخدع

عجبتُ للنساء فاعجبي معي

(١) العنس : الإبل .

(٢) الطبة : الحازمة العاقلة .

من قبل تَبِعَ وبعده تَبِعٌ (١)

يَكْذِبُنَ بِالطَّبَعِ وَبِالتَّطَبُّعِ

لِلْكَذِبِ لِالغَايَةِ أَوْ مَطْمَعِ

وَيَحْكُ هَذِي حُجَّةُ الْمُهَاتِرِ

وَمَنْطِقُ الْجَائِرِ كُلِّ الْجَائِرِ

مَاضِيًّا لَا أَنْكَرُهُ بَلِ حَاضِرِي

فَقَدْ بَرِئْتُ مِنْ حَنِينِ نَائِرِ

وَمِنْ هَوَى مُلَابِسِ (٢) مُخَامِرِ

كَانَ فِرَاقَ كَالْخِيَالِ الْعَابِرِ

وَمَرًّا مَا تُحِسُّهُ مِشَاعِرِي

وَلَا يُطِيفُ ذِكْرُهُ بِخَاطِرِي

بَلِ إِنَّهُ الْحَقُّ فَلَا تُكَابِرِي

مَازَلْتِ تَشْقِيئِينَ بِرُجْدِ غَامِرِ

وَتَحْمَلِينَ عَهْدَ نَائِ هَاجِرِ

مِنْ أَجْلِهِ رَدَدْتِ كُلَّ كَابِرِ

لبني

عزة

(١) لقب للملك اليمن . (٢) الملابس : المخالط .

وأنتِ بعدُ في الشبابِ الباكرِ  
لُبْنِي ! جزاكِ اللهُ أَجْرَ الصَّابِرِ  
يا عَزُّ اهلِ نَقْوَى على المقادِرِ :  
إن مصيرَ الخلقِ عندَ قادرِ

يَقْضَى بما يشاءُ في المصابِرِ

[فترة ست رويوم. ثم تقول لبي في تأثر ظاهر]

لَبْنِي : أَيَقْظَتْ فِي الفِتْنَةِ النَّائِمَةُ يَا لِي مِنْ مَجْضُورَةٍ هَائِمَةٍ  
ذَكَرْتَنِيهِ فَذَكَرْتُ الصَّبَا وَالرَّجْدَ فِي أَيَّامِهِ الْحَامِلَةَ  
وَالعَهْدَ فِي قُدْسِي لِأَلَانِهِ وَالجَّحْدَ<sup>(١)</sup> فِي أَلْوَانِهِ الْقَائِمَةَ  
عِزَّة : لُبْنِي عَرَفْتُ لَكَ الرِّجَا حَقَّ وَالزَّكَاةَ وَالنُّهْيَ  
رَدَى تَبَارِيحَ الهَمُومِ وَنَهْنَهِي هَمًّا طَغَى  
قَدْ تَرَجَّعُ الدُّنْيَا وَيُنْشَرُّ مَوْثِقًا عَهْدُ مَضَى  
وَتَعُودُ أَيَّامُ الصِّفَا يَزْحَمَنَّ لِيَلَاتِ الهِنَا  
لَبْنِي [ثائرة] : خَمَّرَ الدَّمَامَ وَأَعْلَنَا وَرَمَى الضُّلُوعَ فَأَثَخْنَا  
وَعَدَا عَلَى قُدْسِ الصَّبَا وَالذِّكْرِيَاتِ فَأَمَعْنَا

(١) الجحد : الحياة .

ورمى الجحودَ على العهورِ دِ فذكرُها ثم انشئ  
أين الليالى الحاليا تُ بحاجرٍ والمنحى (١)  
أيامَ تمرح بين أعطفِ الصبايةِ والمئى  
وزرى الدنا وكأنا خلقت لتجمعنا الدنا  
ويكادُ لم يسيل العقيهِ قُ (٢) ولم يرقُ إلا لنا  
يا قيسُ جرتَ ولم تكن يا قيسُ إنمأً مُحسنا  
لو كنتُ أعلمُ أن حبك مُلبسى ثوبَ العنا  
ومورقُ ومعدبى هذا العذابَ البينا  
لنهيتُ قلبى أن يُتيمَ فى هواك ويُفتنا  
ومنعتُ حبك يا شقى قَ الروحِ أن يتمكنا  
يا قيسُ لم يهدأ هواك وبيننا ما بيننا  
أواهُ قد سحبَ الفرا قُ على أذبالِ الضنى  
كلُّ الشبابِ مُمتعونَ بحبهم إلا أنا  
[ تلقى بنفسها على صدر عزة ]

(١) حاجر والمنحى : موضعان بالمدينة المنورة .

(٢) وادى العقيق وهو ينهى بجوار المدينة المنورة .

## المشهد الرابع

[ يدخل طارق ]

طارق : حَيْثُمَا دُرَّتِي كَعْبٍ وَزِينَتَهَا  
على الليالي ، وخيرُ الزينةِ الدرُّ

لبنى : حَيْثَ طارقُ . من أين المجيءُ ؟

عزة :  
[ ضاحكة ] له

بيتانِ في كلِّ بيتٍ منهما قمرُ  
أجثتَ من دارِ سُعدى أو غريمِتها

ضلَّ الرجالُ فكم خانوا وكم غدروا !

طارق : بل تظلمينَ لحالكِ اللهُ هاذيةً

أمن لسانك قُدَّ النابُ والظفرُ ؟ !

من مُنتدى الحىِّ يالبنى قدمتُ

لبنى : فهلُ

طاب الحديثُ لكم واللَّهُوُ والسَّمَرُ ؟

تركتُ كعباً وقد ثارت حفيظتها

وهزها غَضَبُ عُرْيَانُ مُسْتَعِرٌ

تركتُ كعباً فما فتياؤها رجعوا

إلى أناةٍ ، وما أسيأها صَبَرُوا

يروُنَ في الصَّفْحِ عن قَيْسٍ - وما ظلموا -

إيقاظٌ داميةٌ في البيد تنفجرُ

يروُنَ في الصَّفْحِ عنه - وهو مُجْتَرِيٌّ

على الكبائر - جرماً ليس يُغْتَفَرُ

ما كان قيسٌ كريماً في تَقَحُّمِهِ

مساربَ الحى يغزوها ويستترُ

ينقضُ كالذئبِ والظلماءِ ساجيةً

مَنْ مُبْلَغُ الذئبِ ما يُخْفِي له القدرُ؟

تَحَلَّلَ اللَّيْثُ من صبرٍ على مضضٍ

وكشَّرَ اليَوْمَ عن أنيابه النَّمِرُ

[ يبدو هل لبني شيء من الاضطراب ]

عزة [في عناد] وما تقولون في دارٍ يحلُّ بها  
قَيْسٌ قَسَمَ له في ساحها وَزَرُّ (١) ؟

هناك يأوي لركنٍ لا يُرامُ فلا  
خطبُ يُغاديه من كعبٍ ولا خطرُ

طارق : أجل فقد طالما يا عزُّ كان له  
في داركم مَفْرَعٌ سهْلٌ ومُسْتَتَرٌ  
جرأتُموه على أعراضنا سفهاً  
حتى روتَ عارنا الأنبياءُ والسَّيرُ

لني [لنفسها] كيف السبيلُ إلى قَيْسٍ قَنَنْدِرَةٌ  
بما يُرادُ به لو تنفعُ النذُرُ

أراهمو أَخَذُوا لِلشَّرِّ أَهْبَتَهُمْ  
وأبصرُ الخطبَ يَسْتَشِيرِي وَيَنْشَمِرُ (٢)

يا نائماً والعوادي تستعدُّ له  
هل عندكم عن مُعْنَى سَاهِرٍ خَبِرُ ؟

(١) الوزر : الملجأ والمعتم . (٢) يتفاهم ويسرع .

يَبِيتُ يُسَلِّمُهُ لَيْلٌ إِلَى سَحْرِ  
 أَسْوَانَ حَتَّى بَكَاهُ اللَّيْلُ وَالسَّحْرُ  
 يَا قَلْبُ وَيَا وَيَا أَمَا تَنْفَكُ مُتْلَهَا (١)  
 تَكَادُ فِي جَنَابَاتِ الصَّدْرِ تَنْفَطِرُ؟  
 إِنْ مُدُّ فِي عُمْرِي أَدْرَكَتَهُ أَمَلًا  
 فَرَدًّا ، وَمَنْ لِي بِأَنْ يَسْتَأْنِيَ الْعَمْرُ؟

### المشهد الخامس

[ يدخل مطيع ومالك والحجاب ... ]

طارق : يا عزُّ هذا «مطيع» جاء

مزة [ في فرح ] فإنه منذُ أسبوعين مُنتظرٌ له

مطيع : أهلاً على الطائر الميمونِ عُدتَ لنا  
 لهذا التلاقِ يُحمدُ السفرُ  
 لمثلِ

(١) مثلها أى متروهاً .

كيف ابنتاي؟ وكيف ابني؟

كَأَنَّهُمُو

عزة

زَهْرُ الرَّبِيِّ رَفٌّ (١) فِي أُنْدَائِهِ الزَّهْرُ

وما ورائك؟ حدثنا، ألا خير؟

[ ينظر الرجال بعضهم لبعض في وجوم وحيرة ثم يتوجهون بأنظارهم نحو مطيع... ]

ورأى المِحَنُ الْمُسْتَنَّةُ الْكَبِيرُ

مطيع

لما قَدِمْتُ وَجَدْتُ الْعَهْيَ مُحْتَشِدًا

قد بيَّتوا لجليلِ الأمرِ وأتمروا

فقلتُ للقومِ : كَفُّوا غَرْبَ شِرْتِكُمْ

فالخطبُ منحممٌ والشرُّ مُنْحِيرٌ

لقد تزوجَ قيسٌ في بني جُشَمِ

فَمَا لَهُ مَأْرَبٌ فِيكُمْ وَلَا وَطْرٌ

[ تضطرب لبني وتحاول التماسك ]

عزة : قيسٌ تزوجَ ؟ ! ما أذنى بِمُخْطِئَةٍ

[ في حدة ] لولا تَجِدُّ لقلتُ : الكاذبُ الأَشْرُ

[ ودعشة ]

(١) رف : اعتز أو أشرق .

مطبع : خَلَفْتُهُ بَانِيًا (١)

عزة : هَانَ الرِّجَالُ فِي  
[ في ثورة ]

أَخْلَاقِهِمْ مِنْذَ كَانُوا اللَّوْمُ وَالْبَطْرُ  
إِنْ سَالَمُوا غَدَرُوا ، أَوْ عَاهَدُوا خَفَرُوا  
وَأَغْلَطُوا . النَّاسِ أَكْبَادًا إِذَا قَدَرُوا  
الْحَبَابِ : أَرَاكِ مَاخُوذَةً يَا عَزُّ مِنْ نَبِيٍّ  
فِيهِ عِظَاتٌ لِيَذِي لُبًّا وَمُزْدَجَرٌ  
عَطْفٌ ، فَحُبٌّ ، فَرَجْدٌ نَازِعٌ ، فَقَلْبٌ  
فَفُرْقَةٌ ، فَتَنَاسٌ . هَكَذَا الْبَشَرُ  
لَيْتَ الشَّبَابَ إِذَا هُمْ فِي الْهَوَى أَنْدَفَعُوا  
لَمْ يُسْرِفُوا فِي جَمِيلِ الظَّنِّ وَانْتَضَرُوا !  
لَبِنِي : صَرَعْتَ يَا قَيْسُ مَا اسْتَبَقَيْتُ مِنْ أَمَلٍ  
[ لِنَفْسَائِي ]  
نَاحِيَةً آهٍ عَلَى الْأَمَلِ الْمَرْجُوِّ يُخْتَصِرُ  
يَا قَلْبُ لَا تَتَسَاقَطُ . هَكَذَا قِطْعًا  
وَاصْبِرْ فَذَاكَ قِضَاءُ اللَّهِ وَالْقَدْرُ  
(١) بَانِيًا : أَي مَتْرُوجًا .

كَأَنَّ ثِقَلَيْنِ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ كَمَدٍ  
أَلْقَيْتَ بَيْنَهُمَا تَفْرِي وَتُعْتَصِرُ

[ تلحق بها عزة فتتفان في ناحية، ويقف الحباب وبنو أخيه في ناحية أخرى متشاغلين عنهما ]

عزة : حَدَّثُ مَا تَسَامَعُ النَّاسُ مِثْلَهُ  
وَيَحَ لِلخَائِنِ المَدَاجِي وَوَيْلَهُ !  
لَمْ نَلْمُهُ لَوْ كَانَ قَاتِلَ رُوحٍ  
لَمْ يُمَثَّلْ بِهِ وَأَحْسَنَ قَتْلَهُ  
لِي : مَا انْتَفَاعِي بِالْعَيْشِ بَعْدَ مُلِيمٍ  
دَكَّ فَيَنَانَهُ وَقَلَّصَ ظِلَّةً ؟ !  
صَدَعَتْ هَذِهِ الكَوَارِثُ قَلْبًا  
حَمَلَ العَبءَ وَحَدَهَ وَاسْتَقَلَّهُ  
وَرَمْتَنِي يَا عَزُّ حَسْرَى جَرِيحًا  
قَدْ فَقدْتُ الإِيمَانَ إِلا أَقْلَهُ  
أَمَلٌ كَالرَّبِيعِ أَدْرَكُهُ المَخْدُ  
لُ<sup>(١)</sup> فَأَشْتَقِي فِيهِ نَدَاهُ وَطَلَّةً<sup>(٢)</sup>

(١) المحل : الجذب . (٢) الطل : أخف المطر .

ونعيمٌ طلقُ البشاشةِ ضاحٍ  
شفه فاجعُ الفراقِ فطلَّةُ (١)

وهوى كالشبابِ ، لم يزل الدهرُ  
رُ به يستبدُّ حتى أدلَّهُ

كُلِّمَا قِيلَ : مَلَّهَا وسلاها  
قُلْتُ : يا قلبُ لا تُرْعِ ، فلعلَّةُ !

يا فؤادى برئتُ منكَ أما آ  
ن وقد خانَ عهدَه أن تملَّه

قد قطعتَ السنينَ أسوانَ تبيكى  
وتداعى في أضلعٍ مُضمحلَّة

كنتَ تبغى عدلَ الزمانِ وترجو  
فَذُقَ اليومَ صَفْوَهُ واحسُ عدلَه

جَلَلٌ هانَ فيه كلُّ جليلٍ  
ليتك انهَرتَ في ضلوعِكَ قَبْلَه

(١) طله : قضى عليه .

طارق [مالك] : أرى أفضل الأوقات للمطلب الذي

تَمَنَّى فخطبُ كِبَرها ربما لبي

تقدم إليها وهي بالغيظ تكتوى

فقد تسلس (١) الغيرى وتستسلم الغضبي

مالك [للحباب] : فديتك عمى ! إننى جئتُ خاطباً

إليك لبيئنى فاصطنعنى ولا تأبى

ويا عم هل تقضى على قلب آمل

يناشدك المعروف والدمم والقربى

ويا عم تدرى أننى عشت ظامئاً

فهل أردن فى دارك المنهل العذبا ؟

الحباب : أمالك لو أنى تخيرت لم أجد

سواك للبنى صاحباً مُحصناً نذبا

تحدث إلى لبنى فإن هى أطلبت (٢)

حيدت وإياك المغبة والعقبى

(١) تسلس : تلين وتنقاد .

(٢) أطلبت : أجابت الطلب .

مالك : أسامةُ بُني ؟ أما آن أن تَرَى ..

تَبَارِيحَ هُمُ شَفَّتِ الْجِسْمَ وَالْقَلْبَا  
أَتَارِكِي أَقْضَى مِنَ الْبُثِّ وَالضُّنَى  
أَمْ اعْتَزَمْتُ تُدْنِي لِي الْكَنْفَ الرَّحْبَا

لِني [في عطف وحزن] : أَمَّا لُكُ لَمْ تُبْقِ الْحَوَادِثُ لِي نُهِي  
وَمَا تَرَكْتُ قَلْبًا يُحْسُّ وَلَا لُبًّا  
فَدَيْتُكَ مَا رَدُّ ابْنِ عَمِي بَهِي  
وَلَكِنَّكَ اسْتَوْفَيْتَنِي مَطْلَبًا صَعْبَا  
فَلَوْ كُنْتُ أَبْغَى الْمَاجِدَ الْكَفَّ وَحَدَه

لَكُنْتُ مِنَ الْغُرِّ الْمِيَامِينِ لِي حَسْبَا (٢)  
وَلَكِنَّمَا أَشَقَى بِأَعْقَابِ غَابِرِ  
مِنَ الدَّهْرِ مَا يَبْرَحَنَ يَوْسَعْنِي كَرْبَا  
فَدَعْنِي وَمَا آتَى مِنَ الْهَمِّ لِي نِي  
نُكِبْتُ فَلَا تَوَقِّرُ (١) بِخِطْبَتِكَ الْخَطْبَا

(١) كافيًا ومعنيًا .

(٢) توقّر : تنقل .

تَرَاءَيْتَ فِي مَاضِي حَيَاتِي وَإِنَّهُ  
لَمَاضٍ يَضُمُّ الْهُونَ<sup>(١)</sup> وَالْأَمَلَ الْجَذْبَا  
أَرِيدُ لِأَنِّي عَنِ حَيَاتِي الَّتِي مَضَتْ  
وَأَنْسَى الدُّنَا وَالْأَهْلَ وَالْحَيَّ وَالصَّحْبَا

ستار

---

(١) الهون : المذلة .

## الفصل الخامس

### المنظر الأول

[ربوع نجد . . . أشجار ، ونخيل ، ومضارب تلوح من بعيد]

### المشهد الأول

[فيس وحده ...]

فيس : أهدي ربي نجد؟ . نعم إنها نجد  
فَدَلَّ عليها البانُ والشيحُ والرَّندُ<sup>(١)</sup>  
ودلتُ عليها من بعيدٍ شمائلُ<sup>(٢)</sup>  
مورجةٌ تسرى وعاطرةٌ تغدو  
أطوفُ شعابَ البيدِ أسوانَ هائماً  
يُطالِعُنِي طاغٍ من الوجدِ مُشْتَدُّ  
أخو حُرْقِي يحيا بقلبٍ مُصدعٍ  
أَلحَّ عليه البَثُّ والهجرُ والبعدُ

(١) أنواع من الشجر . (٢) الشمائل : النسبات .

وقالوا : تَزَوَّجْ بَعْدَهَا تَنْسَ عَهْدَهَا  
 وكيف ومن رُوحِي فِي دِي الْعَهْدِ  
 أَطَعْتَهُمْ وَأَبغَى السُّلُوءَ فَلَمْ تُطْعَمْ  
 مَوَاتِيقُ مِنْ لُبْنِي وَشَائِجُهَا عِدَّةٌ (١)  
 وَبَاكِ أَجْنَتَهُ الضَّلُوعُ مَوَكَّلٌ  
 بِأَبْيَاتِ لُبْنِي لَا يَرُوحُ وَلَا يَغْدُو  
 وَوَقْدُ هَوَى فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ هَادِيٌ  
 وَمُحْتَدَمٌ فِي آخِرِ اللَّيْلِ مُحْتَدٌ  
 وَتَزَعُمُ لِي أَنْ التَّجَلُّدَ رَاحَةٌ  
 مِنْ الْبَثِّ يَا قَلْبِي . فَذَقْ أَيْهَا الْجَلْدُ  
 وقالوا : تَرَاحِي وَدُهَا وَتَزَوَّجَتْ  
 فَقُلْتُ : زَوَّاجٌ غَابَ عَنْ قُدْسِهِ الْوَدُ  
 فَلِلزَّوْجِ مِنْهَا الصَّوْنُ وَالطَّهْرُ وَالْوَفَا  
 وَبِ نَزَعَاتِ الْقَلْبِ وَالشَّوْقِ وَالْوَجْدِ

(١) عد : كثيرة وقديمة .

أحسُّ بما تلقَى فإني بلوته  
زواجانٍ ما من فضمٍ عقديهما بدُّ

## المشهد الثاني

[يظهر قيس بن الملوح في ناحية من المسرح ومعه صديقه زياد]

قيس [مستعراً]: أذلكَ قيسُ بن الملوحِ؟ إنه  
رفيقُ صباي السَّمْعُ والشاعرُ الفردُ  
وهذا زيادُ؟!

زياد [فدمثة]: مَنْ؟ أقيسُ كِنانةٍ؟  
وشاعرُها الأعلى وفارُسُها الوردُ<sup>(١)</sup>

لك الشرفُ المنفوسُ يا نجدُ والسنا  
فقد جمع القيسينِ واديكَ يا نجدُ  
[يقف قيس بن الملوح مهتواً ويشيح بوجهه عن قيس بن ذريح]

قيس بن الملوح [مستمراً يخاطب]: ويا قيسُ قد لاقيتَ خِدناً ومُشبهاً  
فيبكي كما تبكي ، ويشدو كما تشدو

(١) الورد : الشجاع الجري .

كصوتٍ ورجعِ الصوتِ في البيدِ أنتمَا  
تُرَدُّهُ الدنيا ويحفظُهُ العُلْدُ (١)

المجنون : زيادُ كذبتَ اللهُ ما قيسُ مُشبهى  
أأشبهه من أمسى وليس له عهدُ ؟!

أأشبهه من آلوى (٢) بخُلَّةِ نفسه  
وخلفها كالوردِ إذ صوح (٣) الوردُ ؟

رماها فأصمى باغياً غيرَ راحمٍ  
لعمُرِ أُنَى تلكِ الخيانةِ والجحدُ

يس : أحنى قيسُ قد حُمَّ القضاءُ كما ترى  
وأىُّ قضاءِ اللهُ كان له ردُّ ؟

تلومُ على أشياء حين اجترحتُها  
رأيتُ الدنا تنهارُ حولي وتنهدُ

وأبصرتنى في عالمٍ لا أحسُهُ  
غريباً كأننى لم أخضِ غمرهُ بعدُ

(٢) آلوى بهم الدهر : أهلكتهم .

(١) البقاء والدوام .

(٣) صوح : يس وجف .



ومن فَقَدَ الأَحْبَابَ لَمْ يَخْشَ بَعْدَهُمْ  
فَجِيعَةً فَقَدِ هَانَ أَوْ فَدَحَ الْفَقْدُ

وقد كنتُ من لُبْنَى بِأَوْفَى هِنَاءِ  
لَنَا الْكَنْفُ الْمَنْصُورُ وَالْعَيْشَةُ الرَّغْدُ

وكنا بجيِّدِ الدهرِ عَقْدًا فلم يزلْ  
بنا الدهرُ حتَّى هَانَ وانتَشَرَ الْعِقْدُ

المجنون : بَكَيْتَ لِيَكَاةِ اللَّيَالِي بِقَوْمِهَا  
وَفِي لُبِّهِ مَسٌّ وَفِي قَلْبِهِ وَقْدُ

كلانا مُعْنَى غَيْرِ أَنِّي لَمْ أَنْلِ  
كَمَا نِلْتِ مِنْ تَهْوَى وَأَخْطَأْتِي الْجَدُّ

ولو أَنَّ لَيْلِي سَاعَفْتَنِي لَأَقْصَرْتُ  
طَرَائِفُ أَشْجَانٍ تَبَارِيحُهَا تُلْدُ<sup>(١)</sup>

بِرَبِّكَ خَبَّرْنِي فَهَلْ يَفْتَرُ الْهَوَى  
إِذَا اقْتَرَنَ الصَّبَانِ ؟ أَوْ هُوَ يَشْتَدُّ؟

(١) تلد : قديمة .

وهل يَتَلَقَى الزوجُ يا قيسُ زوجَه  
 فَيُبَهِّتَ : لا قولٌ لديه ولا ردٌّ!؟ ...  
 وهل يَطْعَمُ الزوجانِ شُهْدَ صبايةِ  
 كعهديهما إلفينِ أمْ يَنفِذُ الشُّهْدُ؟!  
 قيس : بَنَيْتُ بها يا قيسُ خمساً كواملاً  
 فمَرَّت وميضُ البرقِ يخبو إذا يبدو  
 فما نلتُ حقَّ الزوجِ إلا تَأَجَّجْتُ  
 حقوقُ الهوى تَغلى وتغلو وتحتدُّ  
 وما غِيبْتُ إلا أوشكتُ بعدَ ليلةِ  
 تَنائِرُ أحناءِ الضلوعِ وتَنقَدُّ  
 زياد : ألا تستروحانِ كفى عناء  
 لقد أغرقتُما الدنيا بكاء  
 بكاء في قوافِ عامراتِ  
 سرتُ في البيدِ مُشْرِقةٌ وِضَاءُ  
 فكنُّ لكلِّ موصولِ غِناءِ  
 وكنُّ لكلِّ مهجورِ رجاءِ

وَكُنَّ شَدَى يَضُوعُ بِكُلِّ خِدْرِ  
 وَرَاحاً يَنْفَعُ (١) الْمُهَجَّ الظَّمَاءُ  
 فَعُوداً لِلأَنَاءِ فَرَبَّ دَهْرٍ  
 تَفَرَّقَ بِالأَحْبَةِ ثُمَّ فَاءُ  
 قَيْسٍ : (بَكَيْتُ نَعَمَ بَكَيْتُ وَكَلُّهُ إِفْلٍ  
 إِذَا ذَهَبَتْ أَلَيْفَتُهُ بِكَاهَا) (٢)  
 (وَمَا تَرَ كَمَى لِيَلْبِي عَنْ تَقَالٍ  
 وَلَكِنْ شِقْوَةٌ بَلَغَتْ مَدَاهَا)  
 زِيَادٌ : تُذَكِّرُنِي بِقَافِيَةِ لَقَيْسٍ ؟  
 قَيْسٌ : وَهَلْ فِي الْبَيْدِ إِلَّا مِنْ رَوَاهَا ؟  
 المَجْنُونُ : وَقُلْتُ لَزَوْجِهَا حَبْنِ التَّقِينَا  
 [فِي وَجُومٍ] :  
 وَلَيْلٌ بِحَيْثُ تَسْمَعُ فِي خِيَاهَا  
 وَمَنْ كَبِدَى إِلَى الْأَحْشَاءِ نَارٌ  
 تَوَهَّجَ (٣) حَرُّهَا وَعَلَا لَهَا :

(١) يسكن العطش ويقطعه . (٢) هذان البيتان من شعر قيس بن ذريح .

(٣) توهج : اشتد ، لئار ولحر خاصة .

(بربك هل ضمنت إليك ليلي  
قُبَيْلَ الصَّيْحِ ؟ أَوْ قَبْلَتْ فَاهَا ؟) (١)

(وهل رَفَّتْ عَلَيْكَ قَرُونُ لَيْلِي  
رَفِيفَ الْأُخْوَانَةِ فِي نَدَاهَا ؟)

وَصُورٌ لِي الْخِيَالُ كَأَنَّ لَيْلِي  
تَحَدَّثُنِي تَقُولُ : أَلَا تَنَاهَى؟

تَمَسَّكَ يَا أَبَا الْمَهْدِيِّ وَاصْبِرْ  
فَرَبَّةً غَمْرَةً حُلَّتْ عُرَاهَا

زيد [لقيس] : إِلَى أَيْنَ الْمَسِيرُ فَدَتِكَ نَفْسِي ؟  
قيس : وَهَلْ أَدْرِي إِلَى أَيْنَ الْمَسِيرُ ؟

خَرَجْتُ بِأَيْتُنِي بُدْنٍ (٢) وَخَيْلٍ  
فَعَمَّ الْبَشْرُ قَوْمِي وَالسَّرُورُ

وَقَالُوا : صَحَّ مِنْ سَقَمٍ وَمَسَّ  
وَشَاقَتَهُ الْمَدَائِنُ وَالشُّغُورُ

(١) هذان البيتان من شعر المجنون . (٢) البدن : الضخمة القوية .

وما بتجارتى يا قيس همى  
وما أعتى أتربخ أم تبور

إذا التطواف لم يجمع بلبنى  
فخير أن تغيبى القبور

المجنون : إذن نمضى معاً يا قيس فاعجب

أسير في رعايته أسير

فقد تجرى على يمن خطانا

وقد يتحقق الأمل العسير

### المشهد الثالث

[ يدخل عبد الله بن أبي عتيق . فيقترب منهم ويبدو عليه كأنه لم يعرفهم أول رحلة ]

ابن أبي عتيق : سألنا فتية عن قيس ليلي  
فقيل : تراه في أقصى الطريق

فهل نبأ لدى الأخياري عنه ؟

قيس [ففرح] : تعالى الله يا بن أبي عتيق !

رَأَيْتَكَ فَاتَّهَمْتُ الْآنَ عَيْنِي  
 وَنَجِدُ أَيْنَ مِنْ أَعْلَى الْعَقِيقِ (١) ؟  
 أَتَيْتَ تَرِيدُ لُقْبَا قَيْسٍ لَيْلِي  
 وَقَعْتَ عَلَى طِلَابِكَ يَا صَدِيقِي  
 ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ: قَدِمْتُ أَطْلُبُ قَيْسًا وَاحِدًا فَإِذَا  
 قَيْسَانِ يَعْذِلُ كُلُّهُمَا جَيْلًا  
 فَاضًا بِأَرْوَعٍ مَا يَسْمُو الْبَيَانَ لَهُ  
 فَاسْمَعَا الْبَيْدَ قُرْآنَا وَإِنْجِيلَا  
 وَأَرْسَلَا أَغْنِيَاتٍ مِنْ نَشِيئِهِمَا  
 لَمْ تَأْلُهَا الْبَيْدُ تَرْدِيدًا وَتَرْتِيلًا  
 سَأَلْتُ مِنْ هَذَبِ الدُّنْيَا وَجَمَلِهَا  
 بِالْحَبِّ وَالشَّعْرِ تَهْذِيبًا وَتَجْمِيلًا  
 أَنْ تَقْطَعَا الدَّهْرَ نِضْوَى لَوْعَةٍ وَضَنَى  
 وَتَبْقِيَا الْعَمَرَ ، مَتَبُولًا (٢) ، وَمَمْطُولًا

(١) أعلى العقيق عند المدينة المنورة ، مما يلى الحرة إلى منتهى البقيع .

(٢) المتبول المذهب بعقله من الهوى .

إذا جنى البيدُ من على بيانكما  
 أسنى اليواقيتِ إكليلا فإكليلا<sup>(١)</sup>  
 المجنون : جهلتَ يا بنَ عتيقٍ ما نكابدُهُ  
 نحن المعاميدُ<sup>(٢)</sup> في الدنيا المجاهيدُ<sup>(٣)</sup>  
 تمضي الليالي وفي أكبادنا حرقُ  
 نصلى لظاهُ وفي الأَجفانِ تَسهيدُ  
 مُعذَّبون فلا الأشجانُ هادئةُ  
 عنا ، ولا منهلُ الآمالِ مورودُ  
 قيس : يا صاحِ نحن ضحايا الدهرِ ، لوعتنا  
 للناسِ سلوى وترويحُ وتغريدُ  
 ومن عَصارةِ قلبينا ودمعِهما  
 راحُ تساقتهُ في أسمارها البيدُ

(١) الإكليل : طاقة الجوهر .

(٢) واحدها معمود وهو من أضناء الهوى .

(٣) المجاهد : من أضناهم الجهد والضي .

فاعجب لِمُعْتَبِقٍ<sup>(١)</sup> ساقيه محترق  
 واعجب لِمُسْتَمِعٍ<sup>(٢)</sup> شاديه مفسود<sup>(٣)</sup>  
 ابن أبي عتيق: يا صاحبي أَفِلاً من نحيبيكما  
 أتيا سان ولطفُ الله منشودُ ؟ !  
 فقد تكونان والدنيا مؤاتية  
 والدارُ حاليةٌ والعيشُ محمودُ  
 وقد تكونان والأقدارُ مُحسنةٌ  
 والظلُّ ظلُّ اجتماعِ الشمْلِ ممدودُ

### الشَّهَدُ الرَّابِعُ

[ يدخل كثير بن الصلت ، وابن وهب ، والحارث ، كأنهم في طريقهم إلى حبيهم ]  
 [ يقف هؤلاء بعيداً ويتقدم كثير إلى قيس وأصدقائه ]

كثير بن الصلت: مَنْ صَاحِبُ الأَيْتُقِ فِي الكِرَامِ  
 والخيلِ فِي الحديدِ واللجامِ  
 [ شيراً للخارج ] تَلَكَ التِي أَبصرها أَمَامِي

(١) التبورق : شرب الخمر ليلاً .  
 (٢) المستمع : سامع الغناء خاصة .  
 (٣) المفسود : الحزين الشجي .

- عَفْوًا ، نَسِيتُ وَاجِبَ السَّلَامِ .  
 قيس : سَلِمْتَ فِي الْكِرَامِ وَالْأَمْجَادِ  
 تَلِكَ نِيَاقِي قَدْ مَلَأَنَّ الْوَادِي  
 وَهَذِهِ الْجِيَادُ مِنْ جِيَادِي  
 هَلْ مَطْلَبٌ لِلْمُفْضِلِ الْجَوَادِ  
 رَأَيْتُ مُهْرًا هُنَا قَرِيبًا  
 كثير : ذَاكَ الَّذِي يَسْتَدِيرُ الْقَلِيْبَا (١)  
 شَرِيْطُهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيبَا  
 فَمَرُّ أَوْدِ الثَّمَنِ الْمَطْلُوبَا  
 قيس : أَقْسَمْتُ إِنْ قَبِلْتَ أَهْدِينَاهُ  
 كثير : هَذَا لِعَمْرِي كَرَمٌ آبَاهُ  
 هَلَّا تَبَايَعْنَا ؟ هَذَاكَ اللَّهُ  
 ابن أبي عتيق : خذهُ إِذَا بَشِمَنْ تَرْضَاهُ  
 قيس : بِوَرَكٍ فِيهِ لِمَنْ اشْتَرَاهُ

(١) القليب : البئر .

كثير : سَأْمَضِي شَاكِرًا لَكَ مِنْ كَرِيمٍ

يسيرُ الفضلُ حيثُ مشى وسارا  
لحيُّ كُثَيِّرِ ابْنِ الصَّلْتِ فاقصدُ  
غداةً غدً تكُنْ ضيفاً وجارا  
فإنك واجدٌ فيه كراماً . . .

كَبَارًا خَضَارِمَةً<sup>(١)</sup> وَأَحْسَابًا  
نُوْدِي دَيْنَنَا وَنَطِيبُ نَفْسًا

ونولى الفضلَ والمينَنَ الغزارا  
[ يخرج كثير بن الصلت وبنو عمه ]

ابن أبي عتيق: تعالوا إلى خيمتي يا رفاقُ  
ففيها لنا مجلسٌ حافلُ

تعالوا نَنَلْ من شهىِّ الحديثِ  
فقد شاقنا السمرُ الفاضلُ

ستار

(١) واحدها خضرم ، وهو كثير العطاء .

## المنظر الثاني

[ في ربوع كثير بن الصلت ]

[ الحارث وابن وهب جالسان عند إحدى الخيام يتحادثان ، وعلى مقربة منهما خيام ومنازل حولها نخيل وأشجار . . . يدخل قيس والمجنون وابن أبي عتيق وزيد ]

قيس [المجنون] : أخى قيسُ قد أمسيتُ لم أطمعِ الكرى  
 وبتُّ ونارُ الشوقِ يَشْرَى<sup>(١)</sup> لهيها  
 تساورني أشياء لم أدرِ كُنْهَها  
 لها هَفْوُها<sup>(٢)</sup> في مُهْجِي ودَبِيها  
 تُحَدِّثُ عن لُبِّي بأن مزارها  
 قريبٌ وأنَّ النفسَ دانِ حَبِيها  
 وتَحْمَلُ لى الأنسامُ رِيًّا<sup>(٣)</sup> عرفتها  
 تَصَوِّعُ منها عَرَفُ<sup>(٤)</sup> لُبِّي وطبها

(١) يشرى : يشتد ويستطير . (٢) الهفو : المرور الخفيف .  
 (٣) الريا : الرائحة الزكية . (٤) العرف : الرائحة الطيبة أيضاً .

يَهِيحُ صَبَابَاتِ الْفُؤَادِ ابْتِدَارُهَا  
وَيُدْكِي تَبَارِيحَ الضُّلُوعِ هَبُوبُهَا

بِحَقِّ الْهَوَى يَا نَجْدُ هَلْ أَنْتِ دَارُهَا ؟

سَقْتِكِ الْفُؤَادَى قَطْرُهَا وَصَبِيبُهَا

وإِلا تَكُنْ مَعْنَى لِلبُنَى وَمَلْعَباً

فَمَا لِحَنَايَا الْقَلْبِ طَاغٍ وَجِيْبُهَا ؟!

المجنون : لنا اللهُ نحنُ العاشقين تَهْزِنَا

أَحَاسِيْسُ مَا تَنْفَكُ تَخْفَى عَلَى النَّاسِ !

تُجِدُّ لَنَا الْأَنْسَامُ وَجَدًّا وَلَوْعَةً

بِمَا تَحْمَلُ الْأَنْسَامُ مِنْ طِيْبِ أَنْفَاسِ

وَنُبُصْرُ مِنْ وَحْيِ الْقُلُوبِ وَهَدْيُهَا

سَنَا الْأَمَلِ اللَّمَّاحِ فِي ظُلْمَةِ الْيَاسِ

وَيَا قَيْسُ هَلْ طَافَتْ بِجَسْمِكَ هِرَّةٌ

كَمَا اهْتَزَّ فِي أَبْرَادِهِ الشَّارِبُ الْحَاسِي ؟

وَهَل شَمِلَتْ أَحْنَاءَ قَلْبِكَ قَبْضَةً  
كَعَضِّ بَأْنِيَابٍ وَضَغْمٍ<sup>(١)</sup> بِأَصْرَاسٍ؟

فصَدَّقْ إِذْنِ حَدَسِ الضَّمِيرِ فَرَبَّمَا  
تَعَلَّقْتَ مِنْ لُبْنَى الْغَدَاةِ بِأَمْرَاسٍ<sup>(٢)</sup>

ابن أبي عمير: تُرَى أَدْيَارُ آلِ الصَّلْتِ هَذِي  
وَهَل هَذَا هُوَ الرَّبْعُ الْمُرَادُ ؟

أَرَى بَعْضَ الشَّبَابِ هُنَا جُلُوساً  
فَسَلُّهُمْ عَنْ كَثِيرٍ يَا زِيَادُ  
[ يَتَجَهَّوْنَ نَحْوَ الْمَنَازِلِ ]

الحارث : أَتَعْرِفُ مِنْ تَرَاهِمِ يَابِنَ وَهَبٍ؟

ابن وهب :  
[ ٣٣ لِقَائِهِمْ ]  
أَوْلَيْتَكَ مِنْ لَقِينِنَا عَصَرَ أَمْسٍ

الحارث : هُمُو ضَيْقٍ<sup>(٣)</sup> فَلَا تَسْبِقْ إِلَيْهِمْ  
أَتَحْسَبُنِي مُضِيْعاً حَقَّ نَفْسِي

زياد : أَتَلِكِ دِيَارُ بَنِي الصَّلْتِ؟

الحارث : هَذِي دِيَارُهُمْ مَرْحَباً بِالْبَدْوِ

(١) الضغم : العض الشديد .  
(٢) الأمراس : الحبال .  
(٣) جمع ضيف كأضياف .

زياد : فَأَيْنَ بِيوتُ كُثَيِّرٍ فَقَدَ  
 ابن وهب : فهذه بيوتُ الأبيِّ الكريمِ  
 وإن ابنَ وهبٍ لكفُّ لكم  
 قيس : شكرناك من سيِّدٍ مُفضَّلٍ  
 وِدِدنا لو أَنَا أَجَبنا الأغرَّ  
 ولكن قدِمنا على موعدٍ  
 الحارث : على الرَّحْبِ في داره تنزلون  
 ابن وهب : ربوعٌ تعهَّدها ربُّها  
 يصونُ ذُرًا مجدها بالقنا وبالنائلِ الغمرِ<sup>(١)</sup> من بذله  
 [ يتجهون إلى منزل كثير بن الصلت يتقدمهم ابن وهب والحارث ]

قيس : تُرى أفي الدار- أهل الدار- صاحبها؟

إنا على موعدٍ نلقاهُ في الدارِ

ابن وهب : يا ربةَ البيتِ ، أضيافُ غطارفةٍ<sup>(٢)</sup>

[منادياً]

من كلِّ أبلجٍ رَحْبِ الباعِ مِغوارٍ<sup>(٣)</sup>

(١) الغمر : الكرم السرى .

(٢) الوافر .

(٣) المغوار : الشجاع .

قوى إليهم وهبى غيرَ وإنيّة  
 ما تبدّلين لأضيافٍ وزوّارٍ ....  
 لبنى [من داخل الحجاب] : أخى ابنَ وهبٍ فلدتكِ النفسُ مُخلّصةٌ  
 من خيرٍ جاعنا يسعى بأخبارٍ  
 [يبدو الاضطراب قليلا على قيس]

لبنى [مسترة] : حلّوا على الرخبِ فى أمنٍ ومكرمةٍ  
 داراً مُوطأةً للضيفِ والجارِ  
 قيس : أتسمعون ؟ فهذا الصوتُ أعرّفهُ  
 [فى اضطراب للحارث] من ربةِ الدار ؟ هل أفصحتِ يا حارٍ ؟  
 لبنى : يا وهبُ !!  
 [أيضاً] قيس : بل صوتُها ، ما أخطأتُ أذنى

وما ونى القلبُ عن نذرى<sup>(١)</sup> وإخبارى  
 [تظهر لبنى فيقع نظرها أول وهلة على المحنون . فتبدي دهشةً وأرتياحاً معاً]

لبنى : من ذا أرى ؟ قيسُ ليلى فى منازلنا ؟  
 أشعدُها ساعةً ألقاكِ فى دارى

(١) التندر والإنذار بمعنى واحد .

المجنون : لُبْنِي ؟  
[ في دهشة ]

قيس : أَلْبُنَيَّ مِنْ تَدْعُو ؟

لُبْنِي :  
[ في حيرة بعد  
فترة صمت ]

قيس : اللَّهُ فِي هَالِكٍ يَا قَوْمُ مُشَاهِرِ  
[ يتخاذل قيس فيسند ابن أبي عتيق والحارث ]

المجنون : مَاذَا أَصَابَكَ ؟  
[ لقيس ]

لُبْنِي :  
[ في صوت  
منخفض ]

يا قَيْسُ أَدْرَكَهُ فِي رَفْقٍ وَإِشَارِ  
قيس : أَحْسُ نَفْسِي قَدْ نَاءَتْ بِمَا حَمَلَتْ

شعابها من جليل العبء جبارِ  
وباتَ يهْتَرُ قاي في أضالعِهِ

كأنَّهُ طائرٌ في مِخْلَبِي ضارِ  
النارُ في مُهَجِّي والنارُ في كبدِي

وقيل لي اصبر! وما صبري على النارِ ؟  
[ يقع منشياً عليه ]

ابن أبي عتيق: قيسُ فائِثُ وتَاسِكُ

قيس : أَجَلَسَانِي واسقِيَانِي

ما أراني غَيْرَ مد فوعٍ لِحَيِّنِي ، ما أراني

[تسرع لبي إلى الخباء فتأق بناه فيه ماء تعطيه للمجنون]

لبي : قيسُ ، هذا الماءُ فابْرُدُهُ به حتى يُفِيقَا

واسقه واحنُ عليه وكن الخِلُّ الرقيقا

المجنون : هاتِ يا لبي فما أَحْسَبُهُ بالماءِ يَرَوِي

قيسُ ، هذا ماءُ ابني فتَاسِكُ

قيس : لستُ أَقْوَى

من لِمُشْفٍ<sup>(١)</sup> يَعْصِفُ الموتُ به عُضْوًا فَعْضُوا

أَبْصِرُ البُرَّةَ وما أَسطِيعُ للبُرَّةِ دُنُوًا

الحارث : يا بنَ وهبٍ من القتي؟

ابن وهب : أَفَلَمْ تَعْرِفَهُ يا حارِ؟ إنه ابنُ ذَرِيحٍ

الحارث : قيسُ لبي ؟

ابن وهب : أَجَلُّ !!

(١) المشى : المشرف على الهلاك .

الحارث : إذن قد علمنا سرَّ نضوي بادي الهزال طليح<sup>(١)</sup>  
ابن وهب : قد لعمرى أسييت للعاشق المُضنى غريقاً في دمه المشفوح  
قيس : أنا من نالَ نَفْسَه بيديه ورماها للبتِّ والتبريح  
والنعم الذي أضعته نعيمى والصروح التي هدمتُ صروحي  
والدموعُ المدفقاتُ دموعى والجروحُ المغرورقاتُ جروحي  
إيه لبنى أما لصفح سبيل؟ أيسرُ الصفح لو علمتُ مريحى  
أنتِ روحى وما إخالُك إلا تعلمين اليقينَ أنكِ روحى  
ابن وهب : ويك يا قيس إنَّ للزوج حقاً ما أرى ما نطقتَ إلا نسيبا  
أنتِ جارٌ لزوجها فمن النهية<sup>(٢)</sup> ألا تقولَ قولاً مريباً

المجنون : يا بن وهب ماذا يريبك منه  
تلك والله نفثة المصدور  
هل تعدون صرخة المحرق المو  
جع إثمًا أو أنه المهجور؟

الحارث : ليس هذا مقامنا يا بن وهب  
فأمض نبلغ بما شهدنا كثيراً

(٢) العقل والساد .

(١) الطليح : المتب المحطم .

قَدْ يَرَى رَأْيَهُ فَيَحْسَمُ حَالاً  
لَا أَرَاهَا تُرْضَى وَيَدْفَعُ شَرًّا

[يخرج ابن وهب والحارث ويجلس الباكون في شيء من الاستمرار]

المجنون : أَيُّ يَوْمٍ يَا لُبَيْتِي بِأَسْمِهِ  
جَمَعَ الْمُضْنَى عَلَى الْمُضْنَى كَمَا  
تَلَّكَ لُقْيَا كَفَّرَ الدَّهْرُ بِهَا  
لَبْنِي : يَا أَخِي قَيْسُ ظَلَمْتَ الدَّهْرَ مَا  
يُخْطِئُ النَّاسُ فَإِنْ حَاسَبْتَهُمْ  
ابن أبي عمير : قَدْ لِكِ لَبْنِي إِذَا يَحْكُمُنَا  
أَحْصَيْتَ فِي صُحُفِ أَعْمَالِنَا  
قَيْسُ : كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا شِقْوَةً  
كُنْتُ مُنْسَاقًا وَمَدْفُوعًا إِلَى  
كُنْتُ آتَى الْأَمْرَ لَا أَعْقَلُهُ  
لَوْنُوا التَّحْرِيطَ سَحْرًا دَافِقًا  
ضَمُّ أَنْصَاءٍ<sup>(١)</sup> الْهَوَى فِي قَرَنِ  
رَدًّا ذَا شَوْقٍ إِلَى ذِي شَجَنِ  
عَنْ تَبَارِيحِ الْأَسَى وَالْحَزَنِ  
رَابِنِي دَهْرِي وَلَا رَوْعَتِي  
نَسَبُوا أَخْطَاءَهُمْ لِلزَّمَنِ  
قَدَّرُ يَقْتَادُنَا بِالرَّسَنِ  
فَهِيَ تَجْرِي مِثْلَنَا فِي سَنَنِ  
بَعْدَ عَيْشٍ كَشَهَى الْوَسَنِ<sup>(٢)</sup>  
غَايَةً مَجْهُولَةً لَمْ تَبِينِ  
مُكْرَهًا أَجْهَلُ مَا يُكْرَهُنِي  
مَا وَتَوْنَا عَنْ سَكْبِهِ فِي أَذْنِي

(١) جمع نضو وهو المهزول المتعب .

(٢) الوسن : التعاس .

عشتُ من بعدك لُبني ساهماً<sup>(١)</sup>  
 بينَ أضلاعيَ بالكِ نازعُ  
 خنتُ ميثاقَ زوجاً خاسراً  
 دائمةً البثَّ صريعَ الشجرِ  
 عاش مذ بنتِ غريبِ الوطنِ  
 غيرَ أنِّي عاشقاً لم أخنِ

لبنى  
 [في خبث] كيف شيخاك؟

قيس : أأمي وأبي ؟  
 أحمدُ اللهَ على نعمته  
 ابني : أمقيانِ على عهدهما  
 قيس : خطأ الشيخين لا أنكره  
 لا تلوي قدراً صبهما  
 ندموا فاستغفري اللهَ لهم  
 ولقد هموا بإصلاحِ الذي  
 قيلَ زُقتَ لفتى من كِنْدَةَ  
 ما على ضيغِ وحقدٍ أنطوي  
 [في حدة] أذكرُ الظلمَ الذي روعنا  
 يقضيانِ العمرَ أعلىنِ كراما  
 ما يرومان من الدهرِ مراما  
 يملآن البيتَ عدلاً وسلاماً؟  
 من من الناسِ عن الظلمِ تسامى  
 نعمةً حلَّت علينا وانتقاما  
 إنَّ للنادمِ حقاً وذماما  
 أفسدوا لولا حديثُ قد تراى  
 ملكَ القلبِ عليها والزماما  
 إنما أمقتُ بغياً وأنا ما  
 إنه كان عذاباً وغراماً<sup>(٢)</sup>

(١) السام : المتغير لونه مع ضعف وهزال .

(٢) الغرام هنا : الشر والهلاك .

ما أَظُنُّ اللهُ ينجيهم وإن  
 قيس : دعى الماضي يا بُنَيَّ  
 قَطَعُوا العِمْرَ صلاةً وصياماً  
 مضى في ذمِّ الدهرِ ...  
 إذا اليومُ مضى باناً  
 إذا فلنطو ما فات  
 لبي : وكيف وذلك الماضي  
 هو الروضُ الذي صَوَّحَ  
 والعمرُ الذي هانا  
 هو الحُلْمُ الَّذِي وَلَّى  
 كأنَّ الحُلْمَ ما كانا  
 سنرعى ماضياً سمحاً  
 وننسى ظالماً نخانا  
 المجنون : أراكِ شُغِلتِ بالماضي  
 فلم تَسْتَخْبِرِي عمّاً  
 سلى قيسك يا بُنَيَّ  
 عن الحيِّ وما ضمّاً  
 سلى عن ربِّعك الباكي  
 وعن أبياتك الكَلْمِي<sup>(١)</sup>  
 قيس : فما زالت مغانيها  
 تُريقُ المدمعَ السَّجْمَا<sup>(٢)</sup>  
 تكادُ تذوبُ من شوقٍ  
 إلى من زانها قِدمَا  
 لبي : عَجِبْتُ لقوله هذا  
 وأعجبُ منه جُرأته  
 [في حدة]

(٢) المدمع السجم : الفزير .

(١) الكلمي : الجريحة .

أما ينفكُ يذكركُ وفي مغناهُ زوجتهُ  
أنا زوجُ فتى سَمَحٍ وَأنتَ لِحُرِّمِ زَوْجُ  
لك النهجُ الذي آثرَ تَ يا قيسُ ، ولي نهجُ  
كلانا اختارَ وجهتهُ فلا تأملُ ولا ترَجُ

قيس : لقيتُكَ فاسترَوحتُ<sup>(١)</sup> حتى كأنما

لَقِيتُ شَبَابِي بَعْدَ فَوْتِ شَبَابِي  
وَأَدْرَكْتُ يَا ابْنِي بِمَرَاكِ غَايَةٍ  
تَنَاهَتْ إِلَيْهَا فِي الْحَيَاةِ طِلَابِي  
وَيَارُبُّ صَحْوٍ بَعْدَ نَكْبَاءِ زَعَزَعٍ  
وَرُبُّ نَعِيمٍ بَعْدَ طَوْلِ عَذَابِ

المجنون : وَكُنْتَ غَرِيبَ الدَّارِ يَا قَيْسُ فَالْتَمَسُ

هِنَاءَ غَرِيبِ الدَّارِ بَعْدَ إِيَابِ  
وَحُضِّ فِي عَتَابِ يَمْلَأُ النَّفْسَ نَشْوَةً  
فَلَا خَيْرَ فِي صَفْوِ بَغِيرِ عَتَابِ

(١) الاسترواح : الفرح بالشيء والشعور بذهاب الغم .

لبنى  
[في نبرة حزينة] وذى أملٍ ما إن سبيلُ لنيله

وبعضُ الشئى يا قيسُ جدُّ كذابِ  
وظمآنَ ظنَّ الآلَ (١) ماءً فأمه

فلما دنا لم يُلفِ غيرَ سرابِ  
ومن خبِرَ الدنيا يَجِدُ دارَ فرقةِ  
ومَرَّتْ آثامُ وغابَ ذئابِ

قيس : فديتُك يا بُنى على العتبِ والرِّضا  
بنفسى وأهلى والفداء قليلُ

فهل لى من أعطافِ صفحك موضعُ  
تقولُ دموعى عندهُ وأقولُ ؟

وأسترجعُ العهدَ الهنىَّ الذى مضى  
ولم تُشفَ منه لوعةُ وغليلُ

وقالوا : تزوجْ ربِّما قرَّ هائمُ  
وأقصرَ مفتونُ وصحَّ عليلُ

(١) الآل : السراب .

فَأَذَعَنْتُ مَأخُودًا وَأَقْدَمْتُ ذَاهِلًا  
وَقُلْتُ : أَيْرِدَى <sup>(١)</sup> مَرَّتَيْنِ قَتِيلُ  
حَلَفْتُ بِأَحْلَامِ الشَّبَابِ وَقُدْسِهَا  
وَحَبِيبِكَ يَجْرِي فِي دَمِي وَيَسِيلُ  
فَلَمْ أَتَّخِذْهَا جَارَةً وَهِيَ جَارَةٌ <sup>(٢)</sup>  
وَمَا ضَعْنِي خَذَرٌ لَهَا وَمَمِيلُ  
كعَهْدِكَ بِي مَا حُلْتُ عَهْدًا وَمَوْثِقًا  
وَبَلَّهَ الْهَوَىٰ إِنْ الْحَدِيثَ طَوِيلُ  
لَبِي : أَنْسَلَمُ مِنْ بَغْيِ الرِّجَالِ ؟ وَبَغْيِهِمْ  
أَفَانِينُ نَصَلِي نَارَهَا وَشُكُورُ <sup>(٣)</sup>  
جَنِيَتَ عَلَى ثِنْتَيْنِ يَا قَيْسُ ظَالِمًا  
وَكَلُّ ظَلُومٍ مُّخْضَرٌ قَمَسُولُ  
تَنَكَّرَتْ لِلأُولَىٰ وَأَشْقَيْتَ أَخْتَهَا  
فَذَاكَ طِرَازُ فِي الْوَفَاءِ جَمِيلُ

(١) ردى يردى : ذلك .

(٢) الجارة : الزوجة .

(٣) أذواع وضروب .

وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِى الْخَيْرَ ضَمَّنِي  
 إِلَيْهِ مَهِيْبٌ فِى الرِّجَالِ نَبِيْلٌ  
 وَإِنْ كَثِيْرًا كَابِرٌ وَابْنُ كَابِرٍ  
 وَأَبْلَجٌ فَيَاضُ الْيَدِيْنَ مَنِيْلٌ  
 بَنَى بى وَعَرْضِي مُضَعَّةٌ فِى فَمِ الدُّنَا  
 يَجُوُّ الْوَرَى فِى قُدْسِهِ وَيَصُوْلُ  
 فَلَمْ أَرِ أَضْنَى مِنْهُ وَدَا وَرَحْمَةً  
 وَلَمْ أَرَ أَوْفَى وَالْوَفَاءُ قَلِيْلٌ

قيس [فى حدة ونهدج]  
 حَسِبْتُكَ يَا لُبْنَى تُقِيلِيْنَ عَشْرَتِي  
 فَإِنَّ كَرِيْمَاتِ النِّسَاءِ تُقِيلُ  
 وَقَدْ كَانَ كُلُّ الظَّنِّ أَنْ مَدَامَعِي  
 لَهُنَّ وَآلَامِي إِلَيْكَ سَبِيْلُ  
 سَأَرْحَلُ يَا لِبْنَى فَإِنْ غَشَاوَةٌ  
 عَلَى الْقَلْبِ كَادَتْ تَنْجَلِي وَتَنْزَوُلُ

سَأْرَحُلُ يَا لِبْنِي إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ  
إِلَيْكَ فَإِنِّي لِلْمَلُولِ مَلُولٌ

[يبتلع محققاً ليخرج فيدركه ابن أبي عتيق في آخر المسرح]

المجنون : لُبْنَى تَفَجَّرَتْ عُنْفًا

لبني :

وَدِدْتُ لَوْ كُنْتُ أَعْنَفُ

لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا بِي نَسَبْتُ لِي حِلْمَ أَحْنَفٍ<sup>(١)</sup>

أَنَا لَوْ سُقْتُ لَهُ الْقَوْلَ نِصَالًا وَأَسِنَّةً

لَمْ أُرِحْ صَدْرِي مِنَ الْغَيْظِ الَّذِي كَانَ أَجْنَةً

ابن أبي عتيق : اصْطَنَعُ يَا قَيْسُ صَبْرًا إِنْ أَعْرَفْتَهُنَّ

[لقيس]

إِنَّ لِلنِّسْوَةِ جَهْلًا وَهَوَى مِلِكُهُنَّ

خَلَقُ رُكْبَ فِيهِنَّ قَوَاتِي طَبَعُهُنَّ

خَفَقَةُ النَّارِ إِذَا النَّارُ خَبَتْ ثَوْرَتُهُنَّ

لَا تُرْعُ مِمَّا تَرَاهُ وَتَنْظُرُ رُشْدَهُنَّ

طَابَعُ النِّسْوَةِ فَاعْلَمْ يَتَمَنَّعُ وَهِنَّ

[يدخل كثير بن الصلت بهد أن يكون الجميع قد عادوا إلى مجالسهم الأولى . يقفون لاستقباله]

(١) الأحنف بن قيس ، ويضرب به المثل في الحلم .

- كثير : أهلاً بأضيافِ كرامِ العربِ  
من كلِّ شَهمٍ مُفضِّلٍ ونَدبِ  
عَرَفْتُ ما كانَ من ابنِ وهبِ  
لُبنِي أَلَا عَرَفْتَنِي بالصَّحْبِ؟  
لبنِي : هذا أبو المهديِّ قيسُ عامرِ  
كثير : أهلاً به من سيِّدٍ وكابِرِ  
وشاعِرٍ يَبْرَعُ<sup>(١)</sup> كلُّ شاعِرِ  
لبنِي : وَذَا زيادُ  
كثير : رَحِّي وَحِيَّهِ  
صاحبُ قيسِ وأمينُ وَحِيَّهِ  
لبنِي : كثيرُ هذا ابنُ أبي عتيقِ  
كثير : فمرحباً بعِترَةِ الصَّدِيقِ<sup>(٢)</sup>  
القُرَشِيِّ الأَبْلَجِ العريقِ  
أهلاً بِتَرَبِ الحَسَنَيْنِ أهلاً  
هبطتَ رَحباً ونزلتَ سَهلاً

(١) يبرع : يفضل . (٢) إشارة لجدّه أبي بكر الصديق .

لبني  
[في عجل وتردد]

وذاك . . . !!

كبير  
[في تحفظ]

قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ لَا جَدَلَ

نَمَّ عَلَيْهِ الْبُهْرُ<sup>(١)</sup> مِنْكَ وَالخَجَلُ

أَهْلًا بِفَخْرِ لَيْثِ ابْنِ بَكْرِ

مُطْعَمَةِ السَّائِلِ وَالْمُعْتَرِّ<sup>(٢)</sup>

وَجُنَّةِ الْخَائِفِ وَالْمُضْطَّرِّ

[ثم يقول مخاطباً لبني]

لُبْنَى أَعْدَى غَيْرِ صَاغِرَةٍ لِلْقَوْمِ مَا هَيَّأَتْ مِنْ زَادٍ

إِنْ تُكْرِمِي لُبْنَى وَفَادَتَهُمْ فَجَوَادَةٌ مِنْ بَيْتِ أَجْوَادٍ

[تدخل لبني إحدى الخيام ويدخل معها كثير ويصبح من داخل الخيام]

انْحَسِرُوا لِلْكَرَامِ بُدْنًا وَجُزْرًا<sup>(٣)</sup>

شَرُفَ الْحَيِّ بِالضِّيُوفِ الْكَرَامِ

[ يأخذ قيس صديقيه المجنون وابن أبي عتيق إلى فاخية من المسرح في صورة من سيحدثهما في أمر خطير ]

قيس : عتيقُ هدى فُرْصَةً تُنْقِذُنَا لَوْ تُغْتَنِمِ

هَيَّأَهَا اللَّهُ لَنَا وَاللَّهُ فَيَاصُ الْكَرَمِ

(١) البهر : تتابع النفس من الإعياء . (٢) الفقير الذي لا يسأل .

(٣) البدن : النياق ، والجزر : الخراف ، وواحدها جزور كرسول .

هَلَّا تَحَدَّثْتُمْ لَهُ فِي عَارِضٍ مِنَ الْكَلِمِ  
 قَدْ تَقَعُ الْمَعْجِزَةُ الْكُبْرَى إِذَا اللَّهُ قَسَمَ  
 يَا رَبُّ شَمَلٍ بَدَدٍ<sup>(١)</sup> عَادَ فَضْمٌ فَالْتَأَمَ  
 ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : لَمْ تَعُدُّ مَا خَالَجَنِي يَا قَيْسُ فَلْنَعْرِضْ لَهُ  
 الْمَجْنُونُ : تُرَى أَيْلَقَى سَمْعَهُ لِقَوْلِنَا .  
 قَيْسُ : لَعَلَّهُ

بَلْ قَدْ نَفُوزٌ بِالْمُنَى إِذَا هَزَزْتُمْ نُبْلَهُ  
 فَأَبْعَدَ الْعِزَّةَ بِالْإِثْمِ وَأَدْنَى عَقْلَهُ  
 [ ثم يقول لزياد في ناحية ]

سَاعَةَ الْفَصْلِ هَذِهِ بَيْنَ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ فَمَا أُطِيقُ بَقَاءَ  
 أَدْعُنِي يَا زِيَادُ . ذَاكَ مَكَانِي إِنْ رَأَيْتَ الْأُمُورَ تَجْرِي رُخَاءَ  
 [ يخرج قيس ويدخل كثير ]

كثير : زادت بكم طولاً<sup>(٢)</sup> على طولها أهل الندى والفضل أرباعي  
 من كل ذي سرور<sup>(٣)</sup> وذو محتدٍ مُحْتَفِلٍ لِلْمَجْدِ نَزَّاعٍ

(١) مبدد ، متفرق .

(٢) الطول : الفضل والسعة .

(٣) السور : الشرف والمجد .

المجنون : كثيرٌ هذا مجلسٌ ضمنا  
 عنايةُ الله التي لم تنزل  
 ابن أبي عتيق : ماسقتَ إلا خاطراً عنى لى  
 إن الذى جمعنا قادرٌ  
 كثير : أكادُ لا أفهمُ ما قُلْتُمَا  
 إذا مقالُ المرءِ لم يُنجهِ  
 المجنون : بل أفضلُ الخلقِ فتى مُفضلٌ  
 وأكرمُ الناسِ على ربِّهِ  
 ابن أبي عتيق : كثيرٌ هذا ابنُ ذريحٍ فهل  
 فى وحشةٍ يحيا وفى ظلمةٍ  
 قد غصَّ بالسائغِ من عيشهِ  
 ما زال يصبولِمنى نفسه  
 كثير : ماذا ترانى فاعلا يا أخى  
 أخافُ والضيفُ له حرمةٌ  
 المجنون : أرى فى وجهك الغيظَ.  
 حسبتك تفهمُ القلبَ

وترعى حُرْمَةَ الحبِّ إذا عفت سرائرُهُ  
 ألا تَأْلَمُ الروضِ إذا جفَّت أزاهرُهُ ا  
 ألا تبكى مع البانِ إذا خسلَّهُ طائرُهُ !  
 ألا تحزنُ للربيعِ هوى واندكَّ عامرُهُ !  
 ألا تَأْسَى على الأُنسِ عفا وانفضَّ سامرُهُ !

ابن أبي عتيق : كَثِيرٌ فاسمع حُجَّةً وفَاتِنِي (١) في قَدْرِهَا

لبني لديك لم تَزِدْ عن زوجةٍ كغَيْرِهَا  
 أمَّا لقيسِ بنِ ذَرِيحٍ فاللُّدُنَا بِأَسْرِهَا  
 هي الحياةُ عنده بِقُدْسِهَا وسحرِهَا  
 وَجَنَّةٌ بزهرِهَا وخَمَرِهَا ونَهْرِهَا

المجنون : نطلب عدلَ العقلِ والرحمةَ من مقرِّهَا  
 فاجنحْ إليهما تَفُزْ بِشكره وشكرِهَا

كثير : تحدثتَ عن قيسٍ فكنتَ سفيرَهُ

وخَيْرٌ لسفيرِ اللصديقِ صديقُ

(١) فاتاه : ناقشه .

فعميت أحياناً وأفصحت تارة  
ومثلك بالقول السرى خليق  
تحدثت عن لُبني . أَلبني عَليمة  
بما جئتَ ترويه لنا وتسوقُ ؟

المجنون : حلفتُ بليلي يا كثيرُ ودونها  
تهائمُ ما إن تنقضي ونجودُ<sup>(١)</sup>  
وفي مهجتي منها هوى متفاقمُ  
قديمُ بأحشاء الضلوع جديدُ  
وفي عنقِ عهدٍ حملتُ وموثقُ  
تميدُ رُبى رَضوى<sup>(٢)</sup> وليس يميدُ  
فما جَحَدت لُبني نعيماً أفصتَه  
عليها ، وفي بعضِ النساءِ جُحودُ  
وما نطقتُ إلا ثناءً ولم تنزلُ  
بفضلِك من بين الأنامِ تُشيدُ

(١) جمع تهامة ونجد ، والمراد بلاد كثيرة .

(٢) رضوى : جبل بالمدينة المنورة .

وَتَذَكَّرُ مَا أَوْلَيْتَهَا مِنْ رِعَايَةٍ  
 وَعُرِفَ فَتَزْجِي شُكْرَهَا وَتُعِيدُ  
 كَثِيرٌ : لئن كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُ فَإِنَّمَا  
 شَفَقْتِ إِذَا نَفْسِي وَرُوْحَتِي عَنْ صَدْرِي  
 فَلَمْ تَرِ لُبِّي غَيْرَ وَدِّي وَرَحْمَتِي  
 وَمَا عَرَفْتَ لُبِّي جَفَائِي وَلَا عُسْرِي

المجنون : كثيرُ فإني أفقته الناس في الهوى  
 أحاطَ به علمي وذُلُّهُ خُبْرِي  
 فَإِن تَكُ لُبِّي آذَرْتُكَ بِمَا تَرِي  
 مِنَ الْوَدِّ وَالْمَعْرُوفِ وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ  
 فَإِنَّ هَوَاها فِي فَتْيِي مِنْ كِنَانَةٍ  
 أَصَابَتْ بِهِ خُلْدَ الْأَحَادِيثِ وَالذِّكْرِ  
 نَمَا بَيْنَ أَعْطَافِ السَّنَى مِنْ أُبُوَّةِ  
 يَفِيضُ عَلَيْهَا الْعِنْتُ<sup>(١)</sup> مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ  
 هَوَاها بِقَيْسٍ لَمْ يَزَلْ أَوَّلَ الْهَوَى  
 وَآخِرَهُ وَرَغَمَ الْقَطِيعَةَ وَالْهَجْرَ

(١) العنت : الشرف والمجد .

أُعِيدُكَ أَنْ تَرْضَى لِنَفْسِكَ مَنْزِلًا  
 تَرَاوَحَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالظُّلْمِ وَالْكَبْرِ  
 وَحَاشَاكَ مِنْ جَهْلِ الْمُدِيلِ بِإِثْمِهِ  
 نَأَى عَامِدًا عَنْ شِرْعَةِ الْخَيْرِ لِلشَّرِّ

ابن أبي عتيق: كثيرٌ آتواها ؟

كثير :  
 فَإِنِّي أُجِلُّهَا  
 وَأَصْدُقُهَا وَدَى وَأَعْتَدُهَا ذُخْرِي  
 وَأَكْبِرُ آلَاءَ لَهَا وَخِلَافَتَهَا  
 تَرْفٌ<sup>(١)</sup> رَقِيفَ الدَّرِّ فِي نَسَقٍ<sup>(٢)</sup> الدَّرُّ  
 وَمَلَأُ بَيْتِي أَنْعَمًا وَبِشَاشَةً  
 وَتَطْلُعُ فِي أَبْهَائِهِ مَطْلَعَ الْبَدْرِ  
 وَأَتْنِي كَمَا تُتْنِي الرِّيَاضُ عَلَى النَّدَى  
 أَفَاضَ عَلَى أَكْمَامِهَا قَبْلَ الْفَجْرِ

(١) ترف : تضيء . (٢) النسق : المقعد .

ابن أبي عتيق : كثيرٌ فخيرٌها فإن كنتَ فاعلاً  
تَخَفَّضْتَ من عبءِ الضميرِ مدى الدهر  
كثير : رأيتَ صواباً يا عتيقُ فإنني  
حزمتُ على ما قد عزمتَ به أمرى  
فوالله ما آني للبنى هناةٌ  
وإن نشدتها في ظلالِ فتى غيرى  
المجنون : كثيرٌ أَدْعُوها ؟

كثير :  
[بصوت مرتفع]

لُبَيْبِي فَأَقْبِلِي

تعالى ...

لبنى :  
[في اضطراب]

أناذى سَيِّدى فدعانى

[تخرج لى إليهم]

كثير : دعوتك لِلجُلِّي !!

لبنى :  
[في اضطراب  
أشد]

كَأَنِّي عَرَفْتُهَا

فما كان بالنائى البعيدِ مكانى

كثير : فديتُك قد أسقطتِ عنى مؤونةً

من القولِ ما أسطيعُها بلسانى

وَأَخْرَجَنِي مِنْ مَازِقٍ مَا أُطِيقُهُ  
تَخَاذَلَ صَبْرِي عِنْدَهُ وَجَنَانِي

لُبِّي خَذَى فِي الْأَمْرِ لَا تَضَعُنِي بِهِ

فَمَا لِي بِهَذَا يَا كَثِيرُ يَدَانِ <sup>لُبِّي</sup> [بَاكِتٌ]

كثير : أتبكين يا ابني ؟

لبي : بكائي ضراعة

إِلَى اللَّهِ يَهْدِي حَيْرَتِي وَيُرَانِي

رَمَتْنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ فِيمَنْ حَسِبْتُهُ

نَعِيمِي مِنَ الدُّنْيَا فَكَانَ هِرَانِي

وَأَقْسَمُ يَرْعَى الْوَدَّ وَالْعَهْدَ جَهْدُهُ

فَلَمَّا احْتَوَانِي فِي يَدَيْهِ رَمَانِي.

وَعَاطَيْتُهُ صِرْفًا مِنَ الْحَبِّ وَالْوَفَا

فَجَرَعَنِي هَمُّ الدُّنَا وَسَقَانِي

وَأَشْفَيْتُ<sup>(١)</sup> حَتَّى هَيَأَ اللَّهُ لِي فَتَى

شَقِي جُرْحَ نَفْسِي مُحْسِنًا وَشَفَانِي

(١) أشق : أشرف على الهلاك .

وأنزلى في أهله خير منزل  
 ووطأ لي معروفه ورعاني  
 فكيف أجازيه كُنودًا وبغضة  
 إذا هان بين الفضليات مكاني  
 لك الله يا نفسي فآية ثورة  
 ضروري وحرب قد ضمنت عوان  
 تنازعي وخيان : هذا إلى الهوى  
 دعاني ، وهذا للوفاء هداني  
 أحسهما في مهجتي وأضالعي  
 يرومان إقناعي فيقتتلان  
 فواخجلى ما زال قلبي بإلفيه  
 وإن صد عنه دائم الخفقان  
 كثير ، ترقب أن يفيء لرشده  
 فقد طالما جاهدته فعصاني  
 كثير [في حدة وألم] سأصدع بالأمر الذي تؤثرينه  
 كفاني لبني ما لقيت كفاني



قد اخترتِ ، ما في ذاك شكٌ لمُنصفٍ  
لكلِّ كلامٍ مقصدٌ ومعاني

هو القيدُ قد حطَّمتهُ عنكِ فانعمي  
وإن كنتُ ما حطَّمْتُ غيرَ كياني

جرحتِ إبانِي واستهنتِ بحرمتي  
وألبستني في البید ثوباً هوانِ

فبيني<sup>(١)</sup> وبينى ثم بينى ثلاثة  
أليّة<sup>(٢)</sup> مقروح الحشاشة<sup>(٣)</sup> عان

فربُّ مَنى نفسٍ بلغتِ ، وراحةٍ  
أصبتِ ، وعيشٍ مُونقٍ وأمانِ

[ يخرج كثير مفضلاً ويدخل قيس بعد أن يكون قد خرج زياد لاستدعائه ]

قيس : لُبِّي أحمقٌ ما أرى ؟ أم هي المني  
تُصورُّ لي والوهمُ هذى المرائيا ؟!

(١) صيغة من صيغ الطلاق التي كانت معروفة عند العرب .

(٢) الأليّة : اليمين . (٣) الحشاشة : النفس .

فهل رَجَعْتُ أَيامُنَا تحملُ الهوى  
 إلينا كما كانت وتُرْجِي الأمانيا ؟  
 صَبِرْتُ عَلَى الأَحْدَاثِ حَتَّى تَكْشِفَتْ  
 وَإِنْ خَلَفْتَنِي مُوهِنَ العَظْمِ فَانِيَا  
 وَعَضَّتْنِي الأَيَّامُ بِالبُتِّ وَالضَّنَى  
 فَطَالَتْهَا جَلْدًا . وَذُبْتُ اللَّيَالِيَا  
 لِبَيْتِي وَأَنْتِ العَمْرَ وَرَدِي وَمَشْرَعِي  
 أَتَرْضَيْنَ أَنْ أَنْفِضَ ظَمَانًا صَادِيَا ؟

لِي [في إشفاق] لَكَ اللهُ مِنْ رَامٍ أُصِيبَ بِمَا رَمَى  
 وَمُضْرِمٍ نَارٍ بَاتَ لِلنَّارِ صَالِيَا  
 وَجَانٍ عَلَى نَفْسَيْنِ ، نَفْسُكَ مِنْهُمَا  
 فَمَا لَكَ مَجْنِيًّا عَلَيْهِ وَجَانِيَا  
 وَنَافِذَةٌ (١) سَدَّدَتْ يَا قَيْسُ سَهْمَهَا  
 رَمَانِي بِهَا العِيقْدَارُ ثُمَّ بَكَى لِيَا

(١) المراد بها طعنة نافذة .

وفارقتي الأحبابُ في رَيْقِ الصَّبَا  
 - فلما توافوا لم أجد فيه باقيا  
 قيس : بنفسى وأهلى أنتِ، هل فيضُ رحمةٍ  
 ككناقبِ صَوءِ الصبحِ يجلو ظلاميا  
 أما آنَ أنَ يَصْغَى<sup>(١)</sup> أليفٌ لِإِيفِهِ  
 فقد طالما نجاههُ هَيْمانَ باكبا  
 ترى أملاقيه غَضوباً ؟

ليني :  
 [مبته]

مُلاقيه مبسوطَ الذراعينِ حانيا  
 نسينا وأعتبنا<sup>(٢)</sup> منى النفسِ ، فالتَّمَسْ  
 لقلبي من صافي ودادك آسيا  
 عَمَّا اللهُ عما فات يا قيسُ فاطوهِ  
 ولا تَدُكْرُنْ إلا الهوى والأمانيا  
 قيس : لُبْنِي بَعْثْنَا اليَوْمَ فَلنَنْهَبِ<sup>(٣)</sup> الدُّنَا  
 مِراحاً ووجدنا نائراً الوقدِ ضاريا

(١) صغى : مال واستمع .

(٢) أعتبنا : رضينا .

(٣) فلننهب : فلننعم .

فقد أشرق الدهرُ الذي كان داجياً  
وقد أورق العمرُ الذي كان ذاوياً  
(وقد يَجْمَعُ اللهُ الشَّيْئَيْنِ بعدما  
يظنُّانَ كلَّ الظنِّ أن لا تلاقيا)

ستار الختام

رقم الإبداع	١٩٧٩/١٩٤٢
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧-٢٤٧-٦٣٤-٧

١/٧٩/١٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)